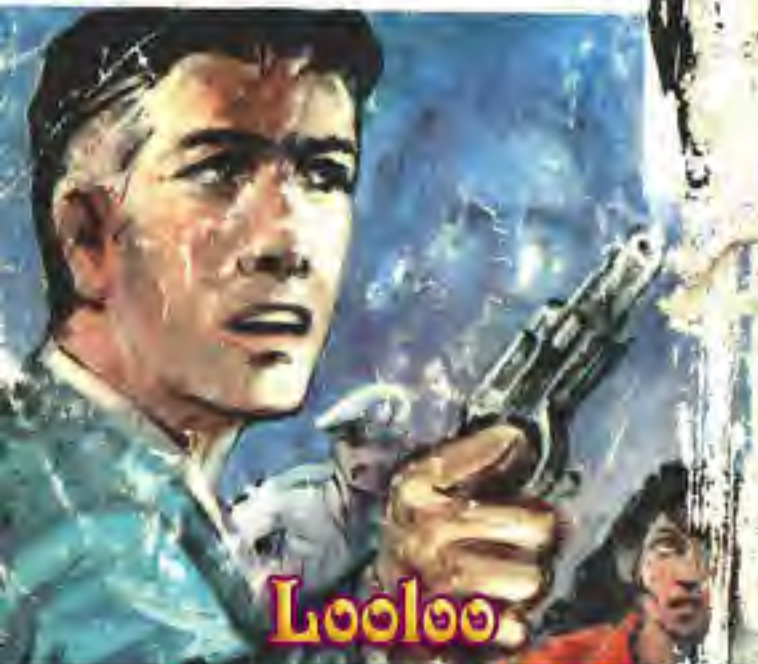


روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل



ضد القانون

٧١



لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات . ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة اخبارات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ - الهاوية ..

امتلأت نفس (أدهم صبرى) بمزيج من الخلق والشجر والملل ، وهو يراجع بعض التقارير السريّة في مكتبه ، في إدارة اخبارات العامة المصريّة ، فزفر في غمق ، وهو يؤرخ التقارير جانباً ، ويهضم في حجة تجمع ما بين السخرية والمرارة :
— ياله من عمل !! .. سأنصح كل من يتقى الشيوخمة المبكرة بمزاولة تلك الأعمال المكتبية المضجرة .

نهض من خلف مكتبه ، ومطّ شفتيه في سخط ، وهو يتجه نحو نافذة حجرته ، ويتطلّع منها إلى لقاء مبنى اخبارات ، الذى بدا له لأول مرة ، كنيّاً ، خاملاً ، على عكس ذلك النشاط الجهم ، الذى تموج به أروقة المبنى الداخلية ، وكشف لدهشته أنها أول مرة ، منذ التحق باخبارات العامة ، بتطلّع فيها إلى لقاء المبنى على هذا النحو ، وبكل ذلك التركيز ..

وبينما هو يسبح مع أفكاره وذكرياته ، سمع صوت طرقات هادئة على باب حجرته ، فقال دون أن يبعد بصره عن النافذة :

— ادخل يا قن بالباب .

سمع من خلفه صوت الباب يُفتح في هدوء ، ثم صوت
أقدام تخطو داخل مكتبه في إيقاع منظم ثقيل ، فابتسم وهو
يقول :

— كيف حالك يا (قدرى) ؟

ارتفعت من خلفه ضحكة مريحة مجلجلة ، أعقبها صوت
(قدرى) ، وهو يقول :

— كيف حالك أنت يا صديقي ؟ .. من الواضح أن شهرًا
من الأعمال المكتبية لم يفقدك حاشيتك الرائعة بقدر .

ابتسم (أدهم) ابتسامة باهتة ، وهو يلتفت إلى
(قدرى) ، قائلاً :

— ليس حتى الآن . ولكننى أخشى أن أنافك بدانة ،
إذا ما استمر الحال هكذا لعام واحد .

ألقى (قدرى) جسده البدني فوق أقرب المقاعد إليه ،
وهو يقول :

— لست أظن ذلك يا صديقي ، فمن المستحيل أن يكون
قرارهم بنقلك إلى الأعمال الإدارية دائمًا .. إنه على الأرجح
عقاب مؤقت لخالفك الأوامر ، في عملية (أوكونور)^(١)

(١) راجع قصة (أباطرة الشر) .. المغامرة رقم (٧٠) .

زفر (أدهم) في حنق ، وهو يقول :

— أخشى ألا يجذوا منى نفعا ، إذا ما أعادوني إلى قطاع
العمليات الخارجية . بعد أن يصاب جسدى بالترهل ، من
جفاء الأعمال المكتبية .

هتف (قدرى) في استكبار :

— ماذا أصابك يا صديقي ؟ .. إننى لم أعهدك يوما بمثل
هذا اليأس والإحباط ! .. أؤكد لك أن عودتك إلى قطاع
العمليات الخارجية لن تستغرق طويلا . فمن المستحيل أن
تخلى الإدارة عن مهارتك وقدراتك غير العادية .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— أتعلم ذلك يا صديقي البدني ، وإلا فستعلم
باستقالتى بعد شهر آخر على الأكثر .

لم يكذبتم عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف الداخلى
لمكتبه ، فالتقط سماعة ، ووضعها على أذنه ، مغمضا :

— (أدهم صبرى) .. من المتحدث ؟

تألفت عيناه فجأة ببريق حماسي ، واستعاد جسده كل
حيويته ونشاطه ، وهو يردف :

— سأحضر على الفور يا سيدي .

ثم أعاد السماعة إلى موضعها ، وعلمت أساريره ، وهو
يقول لـ (قدرى) :

— يبدو أن عارتك الأخيرة كانت بمثابة نبوءة يا صديقي
البدن .. إن المدير يطلبني في مكتبه على الفور .
عُلمت أسرار (قدرى) ، وهو عطف في فرح :
— ألم أقل لك ؟ .. إنهم لن يحتملوا طويلاً غياب (رجل
المستحيل) عن الساحة .. ألم أقل لك ؟

استقبل مدير المخابرات (أدهم صبرى) بوجه متجهّم ،
وأشار إليه بالجلوس على المقعد المقابل لمكتبه ، فجلس
(أدهم) مبتسماً ، وهو يُخفي انفعاله ، وغفته لمعرفة سر
استدعائه ، حتى سأله المدير في خُفوت :

— ماسرُ استدعاني لك في رأيك يا (ن — ١) ؟
هزّ (أدهم) كتفيه ، على نحو يُوحى باللامبالاة ، وهو
يقول في هدوء ، لا ينقل ما يسجر في أعماقه من نيران اللهفة :
— أظن أنها عملية جديدة .

أدهشه مدير المخابرات ، حينما عقد حاجبيه ، وهو يقول في
صرامة :

— كلاً .. إنك لم تُعد تُعد إلى قطاع العمليات الخارجية .
كانت خدمة عتيقة لـ (أدهم) ، استقبلها قلبه بمزيج من
الغضب والألم ، إلا أنها لم تستقل أبداً إلى وجهه ، الذي ظل
جامداً ، وهو يقول في برود :

— لماذا استدعيتي إذن يا سيدي ؟

تهدّد مدير المخابرات ، وأشاح بوجهه ، وهو يستقيم في
خُفوت :

— إنه أمر يتعلق بشقيقك يا (أدهم) .. الدكتور (أحمد
صبرى) .

شكّلت المباراة كل حواس (أدهم) دفعة واحدة ،
وملأت نفسه بالقلق ، فسأل المدير في انفعال :

— ماذا أصابه ؟ .. هل ؟

قاطعته مدير المخابرات في سرعة :

— اطمئن .. إنه في خير حال ، ولم يُصب بخدش واحد .

عطف (أدهم) في جِدّة :

— ماذا به إذن ؟

تردّد مدير المخابرات ، ثم أجاب :

— لقد وصل صباح اليوم إلى (القاهرة) .

لم يكن ذلك الجواب يكفي (أدهم) بالتأكيد ، فهو يعلم

جيداً أن عودة شقيقه — في حدّ ذاتها — لا تكفي لأن يستدعيه

مدير المخابرات على هذا النحو ، فسأل في تولّر :

— وما علاقة حضوره إلى (القاهرة) باستدعائي ؟

تردّد مدير المخابرات لحظة أخرى ، ثم حسم أمره ، وأجاب :

— لقد ألقى رجال الشرطة القبض على شقيقك يا (أدهم) .

اتسعت عينا (أدهم) في دهشة ، وحذق في وجه مدير
الظواهر لحظة ، قبل أن يغمم في ارتياح :
— ألقوا القبض عليه ؟

أوما المدير برأيه إيجاباً ، وهو يقول :
— نعم يا (أدهم) ... بتهمة تهريب المخدرات إلى داخل
البلاد .

صاح (أدهم) في ذهول :

— ماذا ؟

وهب من مقعده ، مستطرداً في غضب :

— أي فراء هذا ؟ .. ما صلة شقيقي بتهريب المخدرات ؟ ..
الجميع يعلمون أنه جراح عالمي ، حاز كل ما يحلم به المرء من
الشهرة والنجاح والفراء ، فلماذا ؟ ..
قاطعة المدير في صرامة :

— لست أدري شيئاً عن التفاصيل يا (أدهم) .. لقد
ألقى رجال مكافحة المخدرات القبض على شقيقك هذا
الصباح ، وهو يحمل حقيبة مملوءة بالمخبرين النقي ، فالتصّل بك
هاتفياً في مكنتي ، وكان واضح الأنياب ، و

قاطعة (أدهم) هذه المرة في انفعال :

— أين هو ؟

عقد المدير حاجبيه في ضيق ، وهو يقول :

— لقد نقلوه إلى إدارة مكافحة المخدرات ، في مديرية أمن
(القاهرة) .

هتف (أدهم) في جدة :

— وهل ستركهم يلقونه في السجن ، من أجل تهمة
باطلة ؟

صاح به المدير في غضب :

— وماذا تتولّع منّا أن نفعل ؟ .. إنها قضية تخصّ رجال
الشرطة ، ولا شأن للمخبرات العامة بذلك ، و

انعقد حاجبا (أدهم) في غضب ، وهو يقاطعه :
— كما تشاء ياسيدي ، ولكنني لن أخلّي عن شقيقي في
هذه المحنة .

زهر المدير في جدة ، وهو يقول :

— اصبر يا (أدهم) .. كل ما يمكنك أن تفعله ، هو أن
تجد له محامياً بارعاً ، وأن تترك الأمر بين يدي رجال الشرطة .
هزّ (أدهم) رأسه نفياً في تولّر ، وهو يقول :

— أريد الحصول على إجازة طويلة يا سيدي .
 عقد المدير حاجيه ، وهو يقول محذراً :
 — حذار أن تتدخل في سِر القصة يا (أدهم) ، فلن
 يمكننا حمايتك ، لو أنك خالفت القانون .
 قال (أدهم) في حزم :
 — الإجازة يا سيدي .
 أجابه المدير في حزم غاضباً :
 — فليكن يا (أدهم) .. سأمنحك إجازة طويلة ، ولكن
 حذار أن تقدم على أى تصرف يخالف قوانين الدولة ،
 وإلا ..
 فاطمه (أدهم) ، وهو يتجه نحو الباب ، قائلاً في حزم :
 — إلى اللقاء يا سيدي ..
 تطلع إليه المدير في دهشة ، قبل أن يُردف (أدهم) في
 ضراطة :
 — أَوْ دَاغَا .. أيما مخلو لك .
 وأغلق الباب خلفه في غنغف ..
 * * *

٢ — الجَرِيعَة ..

أطل مزجج من اللهفة والمراوة من عيني الذكور (أحمد
 صبرى) ، حيناً رأى شقيقه (أدهم) أمامه ، في مديرية أمن
 (القاهرة) ، وأندفع يعانقه ، وهو يهتف في صوت أقرب إلى
 البكاء :
 — (أدهم) ؟ جذاة !! عشت أن يذهبوا إلى السجن
 قبل أن أراك .
 رثت (أدهم) على كصف شقيقه الوحيد ، وهو يقول في
 هدوء :
 — اهدا يا (أحمد) ، وأخبرني كيف حدث كل هذا ؟
 جلس (أحمد) أمام شقيقه ، وقيل وهو يرتجف من
 الانفعال :
 — لقد حصلت على إجازة طويلة ، من عمل
 بـ (السويد) ، وقررت أن أفاجئك بمحضوري إلى
 (القاهرة) ، دون موعد سابق ، وقيل سهرى ، أعطاني أحد

أطباء المستشفى ، ويدعى (هانز فير) ، حقبة صغيرة ، طلب
منى توصيلها إلى صديق له فى (القاهرة) ، فحملتها مع
حقبتى إلى هنا ، دون أن يخطر ببالى فتحها لمعرفة محتوياتها ،
وفى مطار (القاهرة) ، فوجئت بهم يلقون القبض علىّ ،
ويكشفون وجود المهربين فى الحقبة .

سأله (أدهم) فى اهتمام :

— وما اسم ذلك الصديق ، الذى كنت تعطيه الحقبة

هنا ؟

أجابته (أحمد) فى مراودة :

— إنه مصرى .. رجل أعمال يدعى (مراد غالب) .

التفت (أدهم) إلى رائد الشرطة ، الذى يحضر اللقاء ،

وسأله فى اهتمام :

— هل استجوبتم (مراد غالب) هنا ؟

أوماً الرائد برأسه إيجاباً ، وقال :

— نعم .. ولكنه ينكر أية علاقة له بالأمر ، ولا يوجد دليل

واحد يدينه .

هتف (أدهم) فى عصبية :

— ماذا تفتنى بأنه لا يوجد دليل واحد يدينه ؟ .. هل

ستلقون تبيعة الأمر كله على شقيقتى ؟

قلب الرائد كتفيه ، وهو يقول :

— هذا ما يحدث فى كل الحالات المشابهة ، فالقانون يقول

إن حامل التظلمات هو المُدان دوماً ، حتى ولو أنكروا معرفته

بحملها .

قال (أدهم) فى حنق :

— وصاحبها برئ ، ما دام ينكر صلته بها ؟

هز الرائد كتفيه ، وهو يقول :

— إنه القانون .

أطرق (أحمد) برأسه فى يأس ، وهو يفسم فى مراودة :

— نعم يا (أدهم) .. إنه القانون .. لقد وقعت فى الفخ ،

ولا فكراك لى منه أبداً .

بهض (أدهم) ، وهو يحميه فى صرامة غاضبة :

— ليس بفلأ .

غمغم رائد الشرطة فى أسف :

— ليس هناك ما يمكن عمله ، فكلنا نعلم أنه برئ ،

ولكن القانون

قاطعه (أدهم) فى حزم :

— أى قانون أيا الرائد ؟ إن الأوغاد من أمثال (مراد

غالب) يتعاملون بقانون آخر .

وانعقد حاجباه في صرامة مخيفة ، وهو يردف :
— قانون الغابة ..

لم تستطع (منى) إخفاء دهشتها ، وهي تستقبل (أدهم)
في منزلها ، قبل منتصف تلك الليلة بدقائق ، حتى أنها هتفت
به ، وهي تقوده إلى حجرة الجلوس ، أمام نظرات والديها
القلقة :

— يا لها من مفاجأة !.. لماذا لم تخبرني هاتفياً أنك ؟
قاطعياً في حزم ، وهو يهلق باب حجرة الجلوس خلفها :
— إننى أحتاج إلى معاونتك ، في مهمة جديدة
يا (منى) .

هتفت في دهشة تتنزع بالفرح :
— هل أعادوك إلى قطاع العمليات الخارجية يا (أدهم) ؟
أجابها في صرامة :
— ليس بعد .. إنها مهمة خاصة .
جلست ، وهي تغتم في قلق ودهشة :
— مهمة خاصة ؟.. ما الذى تقصده بذلك ؟
قصر عليها ، في كلمات موجزة ، ما حدث في الصباح ،
لهتفت في ارتياح :



لم تستطع (منى) إخفاء دهشتها ، وهي تستقبل (أدهم) في منزلها ،
قبل منتصف تلك الليلة بدقائق ..

— مخدرات ١٢ .. إنها ثيمة ملفقة بالتاكيد

أجابها ، وهو يدور داخل الحجرة كاللث الغاضب :

— لقد قضيت بهارى كله أجمع أكبر قدر من المعلومات عن (مراد غالب) هذا ، ولقد توصلت إلى أنه رجل أعمال مرفوق ، يمتلك عدة شركات للمقاولات والتصنيع ، ونقوداً ضخماً في بعض الأوساط الإجتماعية والسياسية ، على الرغم من عدم انتهائه الفعلى إليها ، ثم إن ملفه نظيف تماماً ، ولا توجد به ثغرة واحدة ، يمكن التناؤ بواسطتها إليه ، من الناحية القانونية .

سأله في تولر :

— ماذا تنوى أن تفعل إذن ؟

بدت لها لحيته مخيفة ، وهو يجيب في صرامة :

— لن نترك هذا الوعد حراً يا (منى) .. سنقاتله ، ولوقع به .

هفت في قلبي :

— ولكن هذا من صميم عمل الشرطة يا (أدهم) ، ولستنا نملك الصلاحية لـ

قامطعها في غضب :

— متوقع بذلك الرجل يا (منى) ، وسأعمل على تحطيمه تماماً بإذن الله ، حتى ولو انتهجت في ذلك منهجاً خاصاً .

واكتسى صوته بمزيج من الغضب والصرامة ، وهو يستطرد :

— وحتى لو عملت ضد القانون ..



٣ - الإمبراطور ..

الباطنية ..

حيّ من أحياء (القاهرة) ، يحفظه كل رجل من رجال
شرطة مكافحة المخدرات ، عن ظهر قلب ..

حيّ هاجته قوات الشرطة مئات المرات ، وحاصره آلاف
المرات ، إلا أنه - وعلى الرغم من ذلك - مازال بؤرة تجارة
وترويج المخدرات ، في (مصر) كلها ..

لقد شن رجال مكافحة المخدرات مئات الحملات
المكثفة ، على ذلك الحيّ ، أسفرت معظمها عن الإيقاع ببعض
صفار مروجي المخدرات ، دون أن تسفر أى منها عن الإيقاع
بواحد من أباطرة تجارة السُّوم ، الذين يحضون دوماً خلف
ستار فولاذي من السُّرّة ، والسُّفوة ، والقوة ..

في ذلك الحيّ ، توقفت سيارة (أدهم صبرى)
الصغيرة ، في العاشرة صباحاً ، حيث تبلغ الحركة التجارية
فروعها ، وهبط هو منها في حُفّة الأثيقة ، ووسامه اللامعة

للأنظار ، وهبطت خلفه (منى) ، في لوب أزرق رائع ،
ومنظار خمس ألبق ، منحاهما مظهرًا يجمع ما بين الفصّة
والدموض ..

وكان من الطبيعي أن تصبه أنظار الجميع إلى (أدهم)
و (منى) ، على الرغم من اعتياد الحيّ استقبال الزوّار
المُكرّمين ، في فترات متقاربة ، ممن يحضون عن مصّة زائفة ،
تمنحها تلك السُّوم المخدرة ..

وتحرّكت عيون مراقبي شبكة المخدرات الرّهبة ، مع
خطوات (أدهم) و (منى) ، وهما يتجهان نحو متجر
صغير ، وقف صاحبه الشاب يتظاهر بالهدوء واللامبالاة ،
وهو يخلص النظر إلى القادمين ، في حذر وشك ، حتى تولّف
(أدهم) أمام متجره ، وألقى أمامه رزمة من الأوراق المالية ،
وهو يقول في برود :

— أريد جرامين من المسحوق النقي .

خدجه الشاب بنظرة باردة ، وهو يقول :

— أى مسحوق ؟ .. إن متجرى لا يحوى — كما ترى —

سوى السجائر المحلية الصنع ، و

قاطعده (أدهم) في هدوء :

— أذهب إذن خلف ذلك الشاب ، الذى كان يقف أمام متجرك منذ لحظات ، والذى حمل حقيقته وابتعد فى سرعة فور رؤيتنا نفترب ، وأحضر من حقيقته جرامين .
 اتسم الشاب فى سخوية ، وهو يقول :
 — أى شاب ؟ .. إننى لم أر أى

قبل أن يتم عبارته ، امتدت يد (أدهم) بفتة نحو عنقه ، وانزعج فى قوة فلولاذية إلى خارج متجره الصغير ، وحدث فى عينيه بعينين صارمتين قاسيتين ، وهو يقول فى غضب :
 — اسمع أيا الوغد .. إننى لست من رجال الشرطة ، ولست أعمل لحسابهم ، وأحتاج إلى هذا المسحوق اللعين الآن .

استعت عينا الشاب فى دُعر ، وتطلع إلى نقطة ما خلف (أدهم) فى طلع ، وسمع (أدهم) صولاً غشناً قاسياً ، يأتى من خلفه ، قائلاً :

— لقد قال لك الرجل : إنه لا يعلم شيئاً عما تحدثت عنه ، اتركه إذن وانصرف فى سلام .

دفع (أدهم) الشاب إلى داخل متجره فى عنف ، ثم استدار إلى مصدر الصوت فى هدوء ، فطالعه أربعة وجوه

قاسية ، لرجال ضخام الجثة ، يحيطون به و (منى) فى نصف دائرة ، ويحملون فى قبضاتهم خناجر حادة ضخمة ، ألقى عليها نظرة لامبالية ، قبل أن يقول لصاحب العبارة فى برود :
 — وما سألتك أنت بالأمر ؟

أجابه الرجل فى غلظة ، وهو يتقدم نحوه فى غضب :
 — يدوانك لست ممن يحسنون الفهم . قلت لك انصرف ، أو

وفجأة ، هوت قبضة (أدهم) على فك الرجل كالقنبلة ، وألقته ثلاثة أمتار كاملة إلى الوراء ، وانسعت عيون الجميع فى ذهول ، حيناً تحرك (أدهم) فى خفة وسرعة مذهلتين ، وزلزل الرجل الثانى فى معدته ، وهشم أنف الثالث بقبضته اليسرى ، ثم الدفعت قدمه اليسرى فى صدر الرابع كالصاعقة ..

وابتست (منى) فى هدوء ، وهى تطلع إلى الجموع ، التى تراجعت فى دُعر ودهشة ، أمام ذلك المشهد الخيف المذهل ، بعد أن انتهت المعركة فى ثلاثين فقط ، وهسوت أجساد العمالقة الأربعة عند قدمى (أدهم) ، الذى أعاد لحظة نافرة من شعره إلى موضعيها ، وعدل هندامه فى هدوء ، ثم استدار إلى صاحب المتجر الصغير ، قائلاً فى حرارة :

— والآن أريد جرائمين من المسحوق اللعين .

شَحَب وجه الشاب ، وهو يتراجع في دُخْر ، ويشير إلى شاب آخر ، ينزوي مع حبيبته في ركن بعيد ، فاقرب ذلك الشاب الآخر من (أدهم) في حَذَر ، وسط سكون شامل ساد المكان ، وناولوه ورقين صغيرتين مطويتين ، التقطتهما (أدهم) من بين أصابعه ، وألقاهما في جيبه ، ثم صحب (منى) إلى حيث تنظرة السيارة ، واستقلها الاثنان ، ثم انطلقا خارج الحى ..

وظل الجميع صامتين مذهولين لحظات ، ثم تفجر هرج مفاجئ ، واجتاح الانفعال ذلك الشاب ، صاحب الشجر الصغير ، وهو يصرخ نحو الشاب الآخر ، ويهتف به في توكر بالغ :

— أبلغ الزعيم بما حدث .. أبلغه على الفور .

وبات واضحا من ذلك التوكر ، الذى ساد المكان ، أن (أدهم) قد ربح تلك الجولة ، وأنه قد بدأ الصراع ، وأثار غضب ودهشة تجار المخدرات في ذلك الحى ..

ولكن من يربح المعركة ؟

من ؟ ..

عقد (توفيق شاهين) ، تاجر مواد العطارة الشهير في (القاهرة) ، حاجيه في قلق وتوكر ، وهو يستمع إلى ما يحدث ، وأخذ ينقر بأصابعه على سطح مكتبه في عصبية ، قبل أن يسأل الشاب ، الذى نقل إليه القصة :

— هل حصلتم على رقم سيارته ؟

أوما الشاب برأسه إيجابا ، وقال :

— نعم أيها الزعيم .. هاهو ذا

وناولوه ورقة مطوية ، التقطها في لفعة ، وقرأ الرقم المدون بها ، ثم رفع سبّاعة هاتفه ، وطلب رقما خاصا ، وقال :

— اسمع يا (رشاد) .. سجل هذا الرقم لديك ، وانطلق على الفور إلى إدارة المرور ، وحاول أن تجمع كل المعلومات الممكنة عن صاحب هذه السيارة .. كل المعلومات .

وأملأه رقم السيارة ، ثم أنهى المحادثة ، وشرذ بعصره لحظات ، وهو ينقر بأصابعه على سطح مكتبه ، قبل أن يسأل الشاب في توكر :

— هل حصل على ما طلب ، وانصرف على الفور ؟

أوما الشاب برأسه إيجابا ، فأزاد العناد حاجيه

(توفيق) ، وهو يفهم في خيرة وتوكر :

— عجيبًا ... لو أنه أحد رجال الشرطة ، لألقى القبض عليكم على الفور ، في حالة تلبس ، ولكنه ، وعلى الرغم من العطف الذي لجا إليه ، حصل على السحوق ، وانصرف في سلام ... لماذا ؟

شعقم الشاب في تردّد :

— ربّما كان مجرد مُلمّن ، و

قاطعه (توفيق) في جلبة غاضبة :

— صنة أيّها الأحمق .. لا يوجد مُلمّن واحد في هذا العالم ، يمكنه أن يتحرّك ب تلك القوّة ، أو السرعة والمهارة التي وصفها .. أنت تعلم أن اعتدّرات تستزف قوَى المرء ، وتعيّله إلى كُومة من العظام المَشّة ، ويقايا العضلات المتهاكّة .. كلا .. إنه ليس مدّتنا بالتأكيد .

ومطّ شغبه ، وهو يستطرد في خنق :

— إن هذا الرجل يهدف إلى شيء آخر .. عجيب ومعتد .

سأله الشاب في قلق :

— مثل ماذا ؟

عطف (توفيق) في جلبة :

— ليس هذا من شأنك .. غُد إلى الباطنية ، وقُل لهم أن

يوقفوا كل شيء مؤقتًا ، حتى نعلم ما الذي يهدف إليه ذلك الرجل .

أسرع الشاب بفادو المكان ، على حين ظلّ (توفيق) جالسًا خلف مكتبه ، يفكر في عمق ، قبل أن يسمع في توكّر ، وهو يلتقط ساعة هاتفه :

— هذا الأمر يحتاج إلى عقل جيّار .. يحتاج إلى الإمبراطور شخصيًا .

هزّت (منى) كفيها في خيرة ، وهي تقفم في شرود :

— الأمر يبدو لي عجيبًا يا (أدهم) .. عجيبًا بالفعل .

سألتها (أدهم) في هدوء ، وهو ينظف مسدّسه في عناية :

— ما الذي يبدو لك عجيبًا يا عزيزتي ؟

اعتذلت ، وهي تقول في اهتمام :

— كل شيء .. الموقف كله يبدو لي عجيبًا ، فحين لم نجد

العمل داخل (مصر) ، أو وجد مجموعتين عاديين ، والمهمة

بوليسية بحتة ، لا تتفق مع أساليبنا السابقة ، ثم إننى لست

أدرى ما الذي يهدف إليه من عملية (الباطنية) هذه ؟

التقط بعض رصاصات ، وأخذ يحشو بها خزانة مسدّسه .

وهو يقول في هدوء :

— إنها عملية خاصة يا عزيزي ، وهي لا تتفق بالفعل مع
 آساليينا ، أو طريقة عملنا ، ولكنني أحاول إدارتها على النحو
 ذاته ، أمّا بالنسبة لما فعلناه في (الباطنية) ، فهو مجرد خطوة
 لإثارة خيرة الخصم ولتلقه .
 سألته (مني) في اهتمام :
 — ماذا تفني ؟

انضم وهو يدفع خزانة المسدس في الفراغ الخاص بها ،
 قائلاً :

— إن تجازة المخدرات ، في أي مكان في العالم ، تعتمد على
 شبكة قوية ضخمة ، تتكوّن خيوطها من مصادر المورعين
 والمروجين لتلك السموم ، وترتبط تلك الخيوط بعدد من
 الزعماء ، الذين يديرون حركة التوزيع والترويج ، وهؤلاء
 يرتبطون بدورهم بعدد أقل من المهرّبين ، ثم بعدد محدد من
 الممولين ، الذين يترعّمهم في النهاية رجل واحد ، هو الحبل
 الذي يجذب كل خيوط الشبكة .

غمغمت في شكك :

— مثل (الماليا) .

أوما برأسه في هدوء ، وهو يقول :

— تمامًا .. ومثل آية منظمة قرينة .
 ووضع مسدسه داخل جيب سترته الداخلي ، وهو
 يُردف :

— وقال تلك المنظمات المعقدة لا يوقع — في العادة —
 سوى بالصغار ، أو بعض المهرّبين أو الممولين ، أمّا الإيقاع
 بالرأس الكبير ، فيحتاج إلى أسلوب مختلف ، لا يعتمد على
 القانون ، وإنما على الاحتيال والجرأة والقوة .
 سألته في خيرة :

— وهل ستقودنا عملية (الباطنية) إلى الرأس الكبير ؟
 هزّ كتفيه ، وهو يقول :

— أتعلم ذلك .

هتفت ، وقد تضاعفت خيبتها :

— كيف ؟

أجابها ، وهو يسترخي في مقعده في هدوء :

— إن موقفنا هناك سيثير غضبهم ودهشتهم وخيبتهم
 يا (مني) ، وسيذلون أقصى جهدهم لمعرفة من أنا ؟ . ولماذا
 فعلت ذلك ؟ . ومتضاعف دهشتهم ، حينما يعلمون أنني
 لست أحد رجال الشرطة ، وعندما يصلون إلى ذروة خيبتهم
 وتولّوهم ، تضرب عن ضربتنا القادمة .

سأله في خيرة :

— آية ضربة قادمة ؟

اجسم وهو يترجى جفنيه ، مغمضًا في هدوء :

— لا تصرّعي يا عزيزتي .. مستسلمين كل شيء في موعده ..
في موعده قاطبًا .

(أدهم صبرى) .. اسمه (أدهم صبرى) ..

نطق (رشاد) هذه العبارة في هدوء ، أمام زعيمه (توفيق شاهين) ، الذي عقد حاجبه في شدة ، وهو يسأله في انفعال :

— أهو أحد رجال الشرطة ؟

عزّ (رشاد) رأسه نفيًا في هدوء ، وأجاب :

— كلاً .. إنه خرج الكلية الحربية ، وعمل في قوّات
الصاعقة قبل وفي أثناء حرب أكتوبر ، ثم استقال من الجيش ،
وعمل بالأعمال الحرة حتى الآن ، وهو كثير الأسفار ، ولكن
لا أحد يعلم طبيعة مهنته ، حتى جيرانه ، ولا يوجد له أصدقاء
معروفون .

رفع (توفيق) حاجبه في خيرة ، وهو يغمغم :

— تلك المعلومات تثير قلقي أكثر يا (رشاد) ، فالجزء
الأكبر من حياته ما زال غامضًا .

والفقه (رشاد) بإيماءة من رأسه ، وقال :

— هذا صحيح أيها الزعيم ، ولكنه لا يعمل في الشرطة
بالتأكيد ، وإلا غلّمْ جيرانه ذلك .

تهدّد (توفيق) ، وغمغم :

— حسنا يا (رشاد) .. هذا يحتاج إلى استشارة الإمبراطور
بخصوصًا .

ثم أدار ظهره له (رشاد) ، ورفع سقاية هاتفه ، وطلب
رقبًا خاصًا ، خرّص على ألا يلمحه (رشاد) ، وانظر
لحظات ، ثم قال في توتر :

— لقد وصلنا كل المعلومات أيها السيد أقصد
ياسيدي .. إن الرجل يُدعى (أدهم صبرى) ، وهو
ليس

اتسعت عيناه بغتة ، وهو يستمع إلى الإمبراطور ، ثم عقد
حاجبه ، وهو يغمغم :

— ولكن ياسيدي .. أأنت ترغب في معرفة باقي
المعلومات ، أو ؟

عادت الدهشة تملأ ملامحه لحظات ، واختلطت بخيرته
وتوتره ، وهو يفهم :

— حسنا ياسيدى .. كما تأمر .. كما تأمر ..

وأعاد سعاة الخائف إلى موضعها ، ورفع عينه إلى
(رشاد) فى دهشة وخيرة ، فسأله هذا الأخير فى قلق :

— ماذا هناك أيها الزعيم ؟

هز (توفيق) رأسه فى خيرة ، هو يفهم :

— لقد أصدر الإمبراطور أوامره ، فور سماعه اسم
الرجل ، ودون انتظار سماح باقى المعلومات ، وكأنه يعرفه
مسبقا .

سأله (رشاد) فى اهتمام :

— وماذا تفحص أوامره أيها الزعيم ؟

تطلع إليه (توفيق) لحظة فى خيرة ، ثم أجاب فى خفوت :

— لقد أمر بقتل الرجل .. بقتله على الفور .



وأعاد سعاة الخائف إلى موضعها ، ورفع عينه إلى (رشاد) فى دهشة وخيرة ..

٤ — المفاجأة ..

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي (أدهم) ، وهو
يجلس النظر غير نافذة منزله ، مغمضاً :

— لقد وصلوا .

هبت (منى) من مقعدها ، وأسرعت إليه ، وهي تهتف في
الفعال :

— كما توقعت أنت تماماً .

راقب — غير نافذه — تلك (المرسيدس) البيضاء
الحديثة ، التي تقلد إلى جوار الرصيف المقابل لمنزله ، والتي
خط منها خمسة رجال أشداء ، اتجهوا نحو المنزل ، وعقد
حاجبيه ، مغمضاً :

— عجباً !! كنت أظنهم سيلجئون إلى مراقبتي فحسب ،
ولكن

بتر عبارته فجأة ، وازداد انققاد حاجبيه ، وهو يبحث عن
ببرير لذلك الموقف غير المتوقع ، على حين سأله (منى) وهي
تخرج من أسبها الصغير من حقيبتها :

— هل تظن أنهم سيهاجمون ؟

صمت لحظة ، قبل أن يجيبها في صوت خافت :

— لم يكن من المفترض أن يفعلوا بهذه السرعة ، ولكن
يبدو أن زعيمهم يرفض إضاعة الوقت لسبب ما ..

ثم اعتدل ، مستطرداً في صوت صارم قوياً :

— ويبدو أن الضدام المباشر سيبدأ أسرع مما كنت أتوقع ،
وعلى نحو مختلف يا (منى) .

ارتسمت على شفيتها ابتسامة واثقة ، وهي تقول :

— فليكن .. سنلقبهم درساً قاسياً .

أردف هو في حماس :

— بإذن الله .

غادر الرجال الخمسة مضطعد البناية في صمت ، وأشار
أحدهم إلى باب شقة (أدهم) ، فأسرع اثنان منهما يستلآن
مسدسهما ، ويقفان على جانبي الباب ، ملتصقين بالحائط ،
على حين وقف ثالث يراقب سلم البناية ، وخزّص الرابع على
إبقاء المضطعد في الطابق ، واثقه الخامس نحو باب شقة
(أدهم) ، وطرقه في هدوء ، وانتظر حتى سمع صوت
(منى) من الداخل ، وهي تقول :

— من الباب ؟

أجابني في هدوء :

— رسالة مسجلة للأستاذ (أدهم صبرى) .

أتاه صوبها ، وهى تقول فى شجة أقرب إلى السخرية :

— حسناً .. انتظر لحظة .

تناهى إلى مسامعه وقع قدمها ، وهى تقترب من الباب ،
فأشار إلى رفاقه بالاستعداد لافتحام الشقة ، فور فتحها
للباب ، وتحفز الجميع للهجوم ، ثم فُتح الباب دفعة واحدة ،
وانسعت عينا الرجل فى دُغور ودُغور ، حيناً رأى قُوَّة
سُلُس (منى) فى وجهه تماماً ، وسمع صوبها الساعِر ، وهى
تقول :

— مفاجأة .. أليس كذلك ؟

تحرك الرجلان ، اللذان يقفان حول الباب ، فى عصبية ،
لمفاجأة (منى) بهجوم مباغت ، إلا أن الجميع تسامروا فى
أماكنهم ، حيناً أتاهم صوت (أدهم) من خلفهم ، وهو يقول
ساعراً :

— هل يرغب أحدكم فى مفادرة العالم بهذه السرعة ؟

كانت مفاجأة حقيقية للرجال الخمسة ، الذين لم يتوقعوا

أبداً تلك المبادرة من خصمهم ، الذى انتظرهم فى الطابق
الذى يعلمون شقته ، وهبط لياغتهم من الخلف ، فألقوا أسلحتهم
على الفور ، ورفعوا أيديهم فوق رؤوسهم فى استسلام ، وهو
يهبط إليهم فى هدوء ، قائلاً :

— إلى الداخل أيها السادة .. سأستضيفكم فى منزلى

المواضع بعض الوقت .

سار الخمسة أمامه فى استسلام إلى داخل شقته ، وأوقفهم
هو أمامه ، وهو يصوب إليهم مسدسه فى استنار ، على حين
أعادت (منى) مسدسها إلى حقيبتها ، وهى تطلق الباب
خلفهم فى هدوء ، و (أدهم) يسألهم بلهجة الساخرة :

— والآن أيها الأوغاد ، من أرسلكم إلى هنا ؟ .. ولماذا ؟

أجابهم أحدهم فى خشونة وغضب :

— اعظظ بأسنثلك لنفسك .. إنك لن تحصل شيئاً على

حرف واحد .. أبلغ الشرطة لو أردت ، ولكننا لن نجيب عن
أسنثلك .

انسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة ، وهو يقول :

— هكذا ؟

وأدهشهم أن أعاد مسدسه إلى جيب سترته فى بساطة ،

وهو يستطرد ساعراً :

— ما رأيكم إذن لو ألقيت الأسئلة ذاتها على نحو وُدِّي .
تبادل الرجال الخمسة نظرة سريعة ، وانفقوا على رأى
واحد ، ثم انقضوا كلهم دفعة واحدة على (أدهم) ..
انقضوا القصاصة رجل واحد ..

لو أن الرجال الخمسة أدركوا حقيقة شخصهم ..
لو أنهم قرعوا تاريخه الخفي ..

لو أنهم علموا كيف قاتل عمالقة الغارات والإجرام في
العالم ، وكيف هزمهم وحطم أوليهم في قارات العالم
الست ..

لو أنهم عرفوا أنه يحمل لقب (رجل المستحيل) ..
لو أنهم استوعبوا كل ذلك ، ما أغراهم غلبه عن سلاحه
أمامهم ، وما تصوروا أن كل قوته تكمن في مسلسل بحري
تسع رصاصات ، ولأدركوا أن أطرافه الأربعة هي أسلحة أشد
فتكا وقوة ..
ولقد أدركوا ..

لقد استغل (أدهم) أولهم بلكمة ساحقة في فكّه ، أطارت
أوتفا من أسنانه ، واستقبل الثاني بركلة صاعقة في معدته .

والثالث بأخرى في أنفه مباشرة ، قبل أن يميل جانباً ، عطاشاً
لكسنى الرابع والخامس ، ثم يهوى بمرفقه على مؤخرة عنق
الرابع ، ويقبض ينسأه على شعر الخامس ، ويكيل له لكسة
كالقنبلة في معدته ، ويلحقها بأخرى جعلت الرجل يتأوه في ألم
وعذاب ، وهو يتصور أن معدته قد تمزقت إزناً ..

ودارت حينها الخامس في محجرهما ، وزاغ بصره من الألم
والرعب ، وهو يحدق في أجساد زفافه الأربعة - الذين
طرحهم (أدهم) أرضاً ، وأفقدهم وعيهم في لحظات ،
وارتحف جسده فزعاً ، حينما سمع (أدهم) يسأله في صرامة :

— من سوء حظك أنك الوحيد ، الذي بقي واعياً أياً
الوعد ، وأنتى ما زلت أنتظر جواب سؤالى ..

علمم الرجل في ارتباك :

— لا يمكننى أن أخبرك .. لن

بحر عبارته ، وهو يتأوه في ألم هائل ، حينما غاصت قبضة
(أدهم) مرة أخرى في معدته ، ونحت من فوط الألم ، وهو
يحلف :

— لن يمكننى .. سيفلتونى لو أخبرتك بحرف واحد ..
ابسم (أدهم) في سخرية ، وهو يخرج مسلسه ، قائلاً :

— أتفقد هكذا ؟

حفظت عينا الرجل ، حتى كادتا تقفزان خارج رأسه في ارتياح : حينما خفض (أدهم) قوة مسدسه ، المؤود بكاتم للصوت ، وأطلق رصاصة نحو رأس أحد الرجال الأربعة ، الذين فقدوا وعيهم ، فاصطبغت حجمة الرجل كلها بدماء متفجرة ، قبل أن تبيل (أدهم) قوة مسدسه نحو الرجل ، الذي كاد الرغب يقطعه ، وهو يقول في صرامة :

— هل يروق لك أن تلحق برفيقتك ؟

لوح الرجل بذراعيه في رغب ، وهو يتلف :

— كاذب .. كاذب أرجوك .. سأغير لك كل ما ترغب في معرفته .

اتصت (منى) في سخرية ، وهي تطلع إلى الدماء ، التي لوثت رأس الرجل الفاقد الوعي ، والتي لم تكن سوى واحدة من الرصاصات الخداعية ، التي تستخدم في عالم السيف ، والتي تنفجر فور ارتطامها بأي جسم صلب ، وتلقى من داخلها بعض الأصباغ الشبيهة باللحم البشري ، وأدركت قوة تأثيرها النفسي على الرجل ، الذي بدا وكأنه يتوسل ، وهو يردد في صوت أقرب إلى البكاء :

— ماذا تريد معرفته ؟ .. قل لي ..

سأله (أدهم) في صرامة :

— من أرسلكم إلى هنا ؟ .. ولماذا ؟ ..

أجاب الرجل في انبهار :

— المعلم (رشاد) هو الذي أرسلنا إلى هنا ، لقتلك ..

سأله (أدهم) :

— ومن هو (رشاد) هذا ؟

أجاب الرجل في مرارة :

— إنه صاحب ملهى ليلي في شارع الهرم ..

حصل منه (أدهم) على عنوان الملهى ، ثم قال في برود ،

وهو يلکم الرجل في فكته :

— حسنا أيها الوغد .. لقد أجبت عن كل ما أردته منك ..

ثم التفت إلى (منى) ، مستطردا في حزم :

— أحكمي وثاقي هؤلاء الأوغاد الخلسة يا (منى) ، وكسبي

أقواهم ، وألقيهم داخل حجرة التورم الإضافية ، حتى أعود إليك ..

سألتها في اهتمام :

— إلى أين ستذهب ؟

اتصم في سخرية ، وهو يجيب :

— كيف تلقين مثل هذا السؤال يا زميلتي العزيزة ؟ .. إنها

فرصة نادرة ، لرؤية كيف تدار الأمور .. في شارع الهرم ..

أوقف (أدهم) مبارته أمام ذلك الملهي الأليق ، في شارع
الهرم ، واتجه نحو مدخله بخطوات ثابتة ، فاستوقفه رجل
ضخم الجثة ، وهو يقول في هدوء :

— لم يبدأ الضل تغل .. غل في الثامنة مساء .

أزاعه (أدهم) عن طريقه ، وهو يقول في سخرية :

— لا بأس .. ساعتي تشير إلى الثامنة .

جذبه الرجل في عنق ، وهو يقول في جدّة :

— هل تظن نفسك ظريفاً ؟ .. قلت لك

شهق الرجل في دهشة وألم ، وبتر عبارته بقصة ، حينما

تحركت قبضة (أدهم) في سرعة ، وقبضت على معصمه ،

وأدارت المعصم في حكمة وسرعة ومهارة ، لطلوى ذراع

الرجل خلف ظهره ، قبل أن يدفعه (أدهم) أمامه إلى داخل

الملهي ، وهو يقول ، دون أن يفقد لحيته الساخرة :

— ألا تصدقني أيها الوغد .. حسنا .. فلنحتكم إلى من

بالداخل .

لم يكذب (أدهم) ، يدفع إلى الملهي ، وهو يدفع الرجل

الضخم أمامه ، حتى هب أربعة رجال من حول منصة

صغيرة ، وحلقوا في وجه (أدهم) في دهشة وذعر ، وأسرع

أحدهم بخطى خفية متوسطة الحجم ، من فوق المنصة ،

ويلقى بها جانباً ، وهو يهتف :



وأدارت المعصم في حكمة وسرعة ومهارة ، لطلوى ذراع الرجل خلف

— من أنت ؟ وكيف تجرؤ على اقتحام المكان هكذا ؟
دفع (أدهم) الرجل الضخم في غنف ، قارتطم بمنصدة
أخرى ، وسقط معها أرضاً ، على حين قال (أدهم) في
صرامة :

— أين ذلك الوغد (رشاد) ، صاحب وكر الرذيلة
هذا ؟

تبادل الرجال الأربعة نظرات قلقة ، ثم قال أحدهم في
عصّة :

— ماذا تريد منه ؟

ارتسخت على شفتى (أدهم) إضامة ساخنة ، وهو
يقول :

— لقد جئت لأسأله ماذا يريد هو مني ؟ .. إنسى
(أدهم) .. (أدهم صبرى) .

امتقع وجه أحد الرجال الأربعة ، امتضاعاً شديداً ،
وترجع في حركة حادة ، وهو ينف في صوت محقق :

— اخلو .. اخلو هذا الرجل ..

وإلى سرعة مذهشة ، استل الثلاثة الآخرون مسدساتهم ،
وصوبوها نحو (أدهم) ، وأطلقوا النار ..

٥ — العملاق ..

انطلقت الرصاصات الثلاث في آن واحد .. نحو هدف
واحد ، ولكنها ارتدت كلها ، على هيئة دُهورٍ رهيب ،
اكتشف الرجال الثلاثة ، الذين أطلقوها ، إذ تحرك الهدف في
سرعة مذهلة ، قبل أن تضغط سيّاباتهم أزرده مسدساتهم بجزء
من الثانية ، ومال جانباً ، ثم قفر فوق منصدة قريبة ، وبدأ لهم
كعملاق هائل ، وهو ينقض عليهم من أعلى ..

وبركة قوية مُحكمة من قدمه اليسرى ، أطاح (أدهم)
بمسدس أُولهم ، وواصلت قدمه طريقها في سرعة ومرونة ،
لتحطم فك الرجل الثاني ، وتلقى به بعيداً ، قبل أن يسط على
قدميه ، وسط الرجلين الآخرين ، اللذين تراجعا في دُغورٍ
ودُهورٍ ، حينما قبض على معصبيهما ، ثم لوى ذراعيهما في قرّة
هائلة ، وأجبرهما على التحلّي عن مسدسيهما ، وهوى بقبضته
على مؤخرة عنق أحدهما ، ثم بالأخرى على معدة الثاني ، وأنهى
الصراع بلكمة ساحقة في أنف هذا الأخير ..

وتراجع (رشاد) في رُغب ، وهو يتف :

— ماذا تريد مني ؟ .. ماذا تريد مني ؟

قبض (أدهم) على ستره (رشاد) ، وجذبه إليه في عنف ، وهو يقول في صرامة تخيفة :

— من أمرك بالتخلص مني ؟

ارتجف جسد (رشاد) من قصة رأسه حتى الخمص قدميه ، وهو يتف في دُخْر :

— إنك تشهمني زورا .. لأحد يريد التخلص منك ..

لا

وتر عبارته فجأة ، وتألفت عيناه ، وهو يصرخ :

— اقله يا (ماهر) .. اقله ..

وفجأة ، أحاط ساعد قوي بعنق (أدهم) ، وانقضت قبضة تعمل خنجرا حادا على ظهره ، نحو موضع القلب تماما ..

تصوّر (رشاد) لحظة ، وهو يقفز مبتعدا عن (أدهم) ، أن خيصر حارسه الحاد سينجح فيما فشل فيه الآخرون ، وسيحرق قلب (أدهم) ، وينتهي تاريخه الحافل بالمعارك

والنضال ، ولكن قلبه هو كاد يتوقف من شدة الهلع والذهول ، وعيناه هو كادتا تنفجران من شدة جشوظهما وذهوفهما ، حينما رأى مرفق (أدهم) يندفع إلى الخلف في سرعة مذهلة ، ويحوص في صدر حارسه الضخم ، ويحطم أضلاعه بصوت تحيف مسموع ، قبل أن ينزلق جسد (أدهم) كله من ساعد الحارس ، ويحوص إلى أسفل ، ويدور حول نفسه ، في ثنائع مهيب ، بالغ السرعة ، حتى أن خنجر الحارس لم يطمئن سوى الهواء ، قبل أن يصرخ الحارس الضخم في ألم ، ويلقى خنجره ، ويمسك صدره بقبضته في قوة ، وكأنما يحاول إعادة أضلاعه المخطئة إلى موضعها ..

ويلكئة ساحقة ، حاسمة ، ألقى (أدهم) الحارس الضخم بعيدا ، واستدار يواجه (رشاد) ..

وتجمدت الدماء في عروق (رشاد) ، أمام تلك النظرة الصارمة الخفية ، التي أطلقت من عيني (أدهم) ، ووجد نفسه يتر ساجدا على ركبتيه ، وهو يتف في مرارة وضراعة :

— الرُجة !!

أجبره (أدهم) على الوقوف بمجذبة قوية ، وتطلع إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول في مزيج من الصرامة والغضب :

— هل متجيب عن سؤالى أم ... ؟

قبل أن يتم عبارته ، هتف (رشاد) فى ارتياح :

— (توفيق شاهين) .

— عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يسأله فى حدة :

— من (توفيق شاهين) هذا ؟

هتف (رشاد) ، وهو يرتجف رجاً :

— تاجر عطاراة بد (الموسكى) . إنه الزعيم ... وهو

الذى أمرنى بقتلك .. لقد كنت أنفذ الأوامر فحسب .

سأله (أدهم) فى صرامة :

— أين يقيم (توفيق) هذا ؟ وأين متجره ؟

لم يجيب (رشاد) ، وإنما تطلع فى لغة إلى شيء ما خلف

(أدهم) . وهتف :

— النجدة ! إنه يريد أن يقتلنى .

دفعه (أدهم) بعيداً ، واستدار يواجه من خلفه ، ولكنه

توقف بغة ، حيناً وجد أمامه أحد ضباط الشرطة ، مع ثلاثة

من الجنود ، وسمع الضابط يقول فى حدة :

— من أنت ؟ ولماذا اقتحمت هذا المكان ؟

ولم يجيب (أدهم) ، يذوره عن هذا السؤال ، فقد دق فى

رأسه فجأة جرس الخطر ..

إنه الآن يواجه رجال شرطة دولته ، وينتقل بمعركته إلى

نقطة جديدة ..

نقطة ضد القانون ..

لو أن هذا الموقف يواجه (أدهم) فى دولة أخرى ،

لما تردد فى مهاجمة رجال الشرطة ، وتحطم أنوفهم ،

والسخرية منهم ، ولكن فى دولته الأمر يختلف ..

إن (أدهم صبور) رجل بحرم دولته وبحبها ، ويفخر

بانتائه إليها ، ومثل هذا الرجل لا يقاتل أبداً شرطة دولته ،

مهما كانت الأسباب والدوافع .

ولكن استسلامه لم أيضاً قد يفسد كل شيء ، ويحطم

عمله ، ويلقى شقيقه خلف قضبان السجن مدى الحياة ، أو

يسلم عنقه لحبل المشقة ، طبقاً لقانون محاربة تهريب

الحدود ..

كل هذا دار فى عقل (أدهم) فى ثوان معدودات ، قبل أن

تنصب قامته فى اعتداد ، ويقول لضابط الشرطة فى لغة

صارمة :

— أحسنت بوصولك في الوقت المناسب أيها الرائد ..
 ألقى القبض على هذا الرجل .
 نقل الرائد عينه بين وجهي (أدهم) و (رشاد) في
 دهشة ، ثم هتف في خفق :
 — من أنت ؟ .. وماذا يحدث هنا ؟
 أجابه (أدهم) في حزم :
 — أنا المقدم (أحمد صفوت) ، من إدارة مكافحة
 المخدرات .
 امتنع وجه (رشاد) في شدة ، وهو يغمغم في دُغر :
 — مكافحة المخدرات ؟
 وردّد رائد الشرطة العبارة ذاتها ، وهو يحذق في وجه
 (أدهم) يخرج من الدهشة والشلل ، على حين استطرد
 (أدهم) :
 — لقد فاجأت ذلك الوغد ورجاله ، وهم يَتَمَوَّنون صفقة
 مخدرات ، ولكنهم حاولوا قتلي ، في أثناء إلقاءي القبض عليهم .
 ثم أشار إلى الحقبة الصغيرة ، الملقاة أرضاً ، مستطرداً في
 صرامة :
 — سجدت المخدرات في هذه الحقبة ، وعليها بصمات
 أصابع ذلك الوغد .

صاح (رشاد) في دُغر :
 — إنه كاذب .. إنها ليست حقيتي .. إنها حقبة هو ..
 لقد أجبرني على وضع بصماتي عليها .
 هتف به (أدهم) في لجة صارمة :
 — صنة أيها الوغد .. لقد وقعت ، ولا فائدة من محاولتك
 التخلص من جريمتك .
 لَوَّح (رشاد) بذراعيه في عصيَّة ، وهو يصيح :
 — صدقني يا حضرة الضابط .. إنه كاذب .. إنني داخل
 ملهى الخااص ، وهو الذي اقتحم المكان .. لا تدعه
 يفلت منك .
 عقد رائد الشرطة حاجبيه في توكر ، والتفت إلى (أدهم) ،
 قائلاً في حزم :
 — هل تسمح لي بالاطلاع على بطاقتك بإسادة المقدم ؟
 هزّ (أدهم) كتفيه في بساطة ، وهو يقول :
 — لست أحملها الآن ، ولكنني سأحضرها لك على الفور .
 ثم اتجه نحو هاتف الملهي ، وهو يستطرد في هدوء :
 — سصل قبل أن يتنى ورجالك من تفشيش المكان ،
 وضبط كل المبعوعات .

أجابه رائد الشرطة في صرامة :

— أنعمتم ذلك يا سيادة المقدم ، وحتى تطلعي على
بطاقتك ، لن أجزم أبداً بأيكما يعمل ضد القانون .

ارتفع رنين الهاتف في حجرة (قدرى) ، قالت لقط
سماعته ، وهو يقول في تراخ :

— من المتحدث ؟

دب النشاط في جسده اليدين فجأة ، حيناً أثناء صوت
(أدهم) ، غير أسلاك الهاتف ، وهو يقول في جدية :

— سيادة اللواء (قدرى) .. إنه أنا .. المقدم (أحمد
صفوت) .

هتف به (قدرى) في اهتمام :

— ماذا هناك يا (أدهم) ؟ .. في أية مشكلة تورطت هذه
المرة ؟

تجاهل (أدهم) السؤال غامفاً ، وهو يقول في جدية :

— نعم يا سيادة اللواء ، لقد ألقيت القبض على المدعو
(رشاد) ، بتهمة الإختيار في المخدرات ، ولكن أحد رجال
الشرطة يعوق الأمر ، ويصرُّ على الإطلاع على بطاقتي ، ليتأكد
من أنني أصعب في إدارة مكافحة المخدرات .

أدرك (قدرى) مغزى حديث (أدهم) على الفور ، فهتف
في انفعال :

— لقد فهمت يا (أدهم) .. قل لي .. هل تحمل وجهك
الحقيقي ، أم أنك متكرّر ؟

أجابه (أدهم) في هدوء :

— الحقيقي يا سيادة اللواء .. وأنا هنا ، في ذلك الملهي في
شارع الهرم .

وألقي إليه بالعنوان ، فأجابه (قدرى) :

— حسناً يا (أدهم) .. حاول أن تعاطل حساب الشرطة
لساعة واحدة .

وأبهى المحادثة ، ثم أسرع نحو مكتبه ، وهو يردد في حماس :

— هيا يا (قدرى) .. صحيح أنك لا تعلم إلى أين مدني
تورط (أدهم) في مهنته الخاصة ، ولكنك لن تتخلى عنه
أبداً ، وسيكون عليك أن تثبت أنك أروع مزور في (مصر) .

واينسم ، وهو يلتقط من درج مكتبه بطاقة خالية ، مردفاً :

— بل في العالم أجمع .

انهار (رشاد) غامفاً فوق مقعده ، واصلاً قلبه بالألم

والمرأة ، وهو ينقل بصره بين (أدهم) ، الذى جلس هادئاً ،
متسناً ، وبين ضابط الشرطة ، الذى انهمك فى فحص
المكان ، والحقبة الممتلئة باغندر الأبيض النقى ، قبل أن يصف
فى الفعل :

— يا إلهى !! إن هذه الحقبة تحوى ما لا يقل عن عشرة
كيلوجرامات من تلك السموم بإسيادة المقدم
هتف (رشاد) فى تخاذل :

— قلت لك إنها ليست حقيتي .

ومعه الضابط بنظرة صارمة ، وهو يقول :

— هذا الأمر لم يحسم بعد بأرجل .

ثم انفتحت إلى (أدهم) ، مستطرداً فى حزم :

— أليس كذلك بإسيادة المقدم ،

تطلع (أدهم) إلى ساعته فى هدوء ، وهو يقول :

— لن يستغرق حسمه طويلاً أياً الرائد .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى تعالى صوت (قدرى) ، وهو
يدلف إلى الملهى ، قائلاً :

— إني أبحث عن سيارة المقدم (أحمد صفوت)

ابنسم (أدهم) فى ارتياح ، وهو يقول :

— هل أحضرت البطاقة ؟

أدى (قدرى) أمامه التحيّة العسكرية ، وهو يقول :

— نعم ياسيدى . لقد أحضرتها .

أسرع رائد الشرطة إليه ، وهو يقول فى لهفة :

— أطلعنى عليها .

واخطف البطاقة ، وقرأ بياناتها فى سرعة ، ثم ارتسم

الارتياح على مخيئه ، وهو يناولها لـ (أدهم) مغمضاً فى

احرام :

— معذرة بإسيادة المقدم . . . كان من الضروري أن

أتأكد .

أجاب (أدهم) فى هدوء ، وهو يلفظ البطاقة ، ويلقيها فى

جنب سكرته :

— لا بأس . كنت تؤذى واجبك .

ثم نهض ، وهو يستطرد فى هجة آمرة :

— لخذ هذا الوغد إلى مديرية الأمن ، وأغلق هذا الملهى .

هتف به الرائد فى دهشة :

— وأين ستذهب بإسيادة المقدم ؟

— ألقوا أدهم ، وتبادل نظرة سريعة مع (قدري) ، قبل
أن يقول في حزم وهدوء :
— إن المهمة لم تنته بعد أيها الرائد .. إننا لم نوقع بالرائس
الكبير .
وأدعشت لهجة الصارمة رائد الشرطة : حينما أردف في
قوة :
— وسنوقع به .. بإذن الله .
ثم غادر الملهى مع (قدري) في خطوات سريعة ..



واحتفظ البطاقة ، وفرا أيادها في سرعة . ثم ارتسم الابتساح على مخيئه ،
وجو يناولها لـ (أدهم) .

٦ - الزعيم الثاني ..

القط (توفيق شاهين) سعاة هاتفه ، إثر رئيسه ،
ورضعها على أذنه ، قائلا :

— هنا مسجر (شاهين) للطيارة .. لدينا كل

بئر عبارته فجأة ، وانحرف في تولر ، حينما أثاره صوت
صارم يقول :

— دخلك من هذا أيا الغنى .. إنه أنا ..

غمغم (توفيق) في تولر :

— الإمبراطور ؟! .. أقصد أهو أنت يا سيدي ؟ .. إنه من
الدار أن

قاطعه صاحب الصوت الصارم ، قائلا :

— اسمحي يا (توفيق) .. لقد ألقى رجال الشرطة القبض

على (رشاد) ، وهو يحمل حقيبة الميرون .

انسعت عينا (توفيق) في دُغر ، وتصبَّ عرق غزير على
وجهه ، وهو يغمغم في ارتياح :

— ألقوا القبض عليه ؟! .. يا إلهي ..! كيف ؟

أجابته صاحب الصوت الصارم :

— لا تزعج هكذا .. لن يمكنهم إدانته ، فلم تكن هناك
أوامر بإلقاء القبض عليه ، ولقد لجأ ذلك الرجل (أدهم
صبرى) إلى لخدعة شيطانية ليقع به ، ولكن لخدعته وحدها
ستكفل لـ (رشاد) النجاة ، لأن الإيقاع به لم يتم بواسطة
قانونية سليمة ، ولكن المهم هو أنه من المحتمل أن يكون
(رشاد) قد وُشى بك ، وهذا يعني أن (أدهم صبرى) في
طريقه إليك الآن .

اكتسى وجه (توفيق) كله بحرق الخوف ، وهو يغمغم في
ارتياح :

— ومن هو (أدهم صبرى) هذا يا سيدي ؟ .. أهو أحد
رجال مكافحة المخدرات ؟

أجابته الصوت الصارم في جلة :

— بل هو أكثر خطورة من ذلك أيا الغنى .. لو أنك تعلم
ما أعلمه أنا عنه ، ما بقيت في مكتبك لحظة واحدة .

ازدرد (توفيق) لأعياه الجفاف في صعوبة ، وهو يغمغم :

— ولكن متجري نظيف يا سيدي .. ولن يجد به ذرة
واحدة من المسحوق ، و

قاطعه الإمبراطور في غضب .

— أيها المصير .. إن (أدهم صبرى) ليس رجل شرقة ،
وهو لا يحتاج إلى أية أدلة ، ليحطم رأسك ، ويتزعج لسانك من
ميتة ، ليحرك على الاعتراف بكل ما تعلم .. إنه ضابط
مخابرات .. أخطر ضابط مخابرات في العالم ، ولو أنه واصل
دس أنفه في شئوننا ، فيعنى هذا نهاية الشبكة كلها ، ما لم
تخلص منه أولاً .

جعلت الكلمات قلب (توفيق) يتفرض في رُغب . وهو
يقول :

— يا إلهي !! .. سأغادر متجسراً على القصور أينما
الإمبراطور .. بل سأغادر (القاهرة) .. بل (مصر) كلها ،
و

قاطعه صوت ساخر ، يقول في هدوء :

— جميل منك أن أوضححت .

سقطت الساعة من يده (توفيق) ، وامتقع وجهه المكتظ
في شدة ، وهو يخلد في رُغب في وجه الرجل الواقف أمامه في
هدوء وسخريّة ..

الرجل الذي يُدعى (أدهم صبرى) ..

أراد (توفيق) أن يقلد هارنا .

أراد أن يصرخ مستجداً ، أو يلتقط مدسه من درج
مكتبه ، ويطلق رصاصاته على (أدهم) ..
ولكنه لم يفعل هذا أو ذاك ..

شيء ما في نظرة (أدهم) الصارمة ، وابتسامته الساخرة ،
جمده في مكانه ، وحشد الذكاء في عروقه ، وأجبره على
الجلوس مُستشراً ، كتمثال من الرخام ، حتى أصبح (أدهم)
أمام مكتبه تماماً ، وانحنى بتطوع إلى عينيّه مباشرة ، وهو يقول
في سخريّة صارمة :

— هذا الذي خاطبه بلقب الإمبراطور ، هو زعيم شبكة
السُوم كلها .. أليس كذلك ؟

أوماً (توفيق) برأسه إيجاباً في ذهول ، ثم استعاد وعيه
فجأة ، فهتف :

— من أنت ؟ وماذا تريد مني ؟

جذبه (أدهم) من عنقه بغتة ، وهو يقول :

— عجباً !! .. كيف لاتعرفنى ، وقد أصدرت الأمر

بقتل .. إننى (أدهم صبرى) .

شُحِب وجه (توفيق) ، وهو يغمغم في ارتياح :

— رجل الغابرات ؟

جاء دور (أدهم) ، ليتطلع إلى (توفيق) في دهشة ، قبل أن يتعقد حاجباه في شدة ، وهو يجذب (توفيق) من عنقه في عنف ، قائلاً في صرامة مخيفة :

— من أعيرك أنني رجل غابرات ؟

حاول (توفيق) أن يتخلص في قوة ، وهو يتف :

— لا أحد .. إنني لم أقل ذلك .. لم

كان مضطراً لير عبارته ، حينما هوت قبضة (أدهم) على فكّه ، وحطمت أسنانه ، وملأت فمه بالدماء ، فعاد يتف في ألم وذعر :

— ماذا تفعل ؟ .. إنك تتحدى عليّ في متجسري ..

إنك

مرة أخرى بر عبارته ، وصرخ في ألم ، حينما حوت قبضة (أدهم) أنفه إلى كومة من اللحم المقسّى ، والعظام المهشمة ، وكست الدماء وجهه ، وأخذ يتف في رغب وألم هائلين :

— ماذا تريد متى ؟ .. ماذا تريد ؟

إنه صوت (أدهم) صارقاً بارداً ، وهو يقول :

— اعتراف ؟

عنف (توفيق) في ارتياح :

— اعتراف بماذا ؟

أجابه (أدهم) في صرامة :

— اعتراف باسم إمبراطور شبكة السموم هذه ، وبأنك متورط فيها حتى أذنيك ، وبأنكم قد دبرتم لشقيسى تلك الحيلة الخفية ، التى

وقبل أن يتم (أدهم) عبارته ، انصقت فوهة مسلسل باردة بمؤخرة عنقه ، وسمع صوتاً خشناً جالماً يقول :

— انتهت اللعبة يا رجل .. إنك لن تحتاج إلى اعترافات ، فهم لن يسألوك إياها في الآخرة .

استدار (أدهم) في هدوء ، ليواجه صاحب الصوت الخشن الجاف ، واتسم في سخرية ، حينما وجدده ضخم الحقة ، وقال متكبّهاً :

— قلّ لى أيّا الخريت ، من أين تحصلون على كل هذا

العدد من الخزائير الضخمة ؟

عقد الرجل حاجيه في غضب ، وجذب إبرة مسدسه
وهو يقول في حدة :

— قل لي أنت أولاً : لماذا أتيت إلى هنا ؟ ... ولماذا فعلت
هذا بالزعيم ؟

يصرق (توفيق) بعضاً من الدماء ، التي تملأ فيه ، وصاح
في حلق :

— لا تسأله أيها الغبي .. اقله .. اقله على الفور .
ولجأة ، تحركت قبضة (أدهم) في آن واحد ، فقبضت
اليسرى على معصم الضخم ، ورفضت كفه اغيطة بمقبض
المسلس إلى أعلى ، وانقضت اليمنى على معدته كالصاعقة ..
وتأوه الضخم ، وهو يترك مسدسه ، ويبقى تمسكاً بمعدته
في ألم ، فتحركت قبضة (أدهم) مرة أخرى في سرعة ،
وأمسكت اليمنى بياقة الضخم ، واليسرى بحزامه ، ودفعه
(أدهم) في قوة ، فارتطمت رأس الرجل بالحائط ، وسقط
فاقد الوعي ..

واستدار (أدهم) يواجه (توفيق) ، الذي بدأ أقرب إلى
الموت منه إلى الحياة ، وسأله (أدهم) في برود صارم :
— هل ستعترف ؟

اختفت الكلمات في حلق (توفيق) لحظات ، واختلطت
بالدماء التي تسيل من أنفه وتغلا فيه ، قبل أن يغمم :

— لن يفيدك احتراي ، فهو غير قانوني ، و
غاصت قبضة (أدهم) في معدته كالتقبلة ، فصرخ في ألم ،
ثم لوح بذراعيه ، صائخاً في ارتياح :

— حسناً .. حسناً .. سأعترف بكل ما تريد .
وانهار رأسه فوق صدره ، وهو يستطرد في مرارة :
— لست أعلم شيئاً عن شقيقك أو عما حدث له ،
وأقسم على ذلك ، أما عن الإمبراطور ، فكل ما أعلمه عنه هو
أنه أحد كبار المستولين ، في مؤسسة (مراد غالب) ، وكل
علاقاتنا لا تتعدى الأحداثات الهاتفية .

سأله (أدهم) في صرامة :
— وكيف علمت أنه يصح مؤسسة (مراد غالب) ؟ ..
مادامت علاقتكما لا تتعدى الأحداثات الهاتفية ؟
أجابته في انبهار :

— لأن رقم الهاتف ، الذي أتحدث إليه ، هو رقم هاتف
مكتب (مراد غالب) الخاص .
عقد (أدهم) حاجيه ، وهو يقول في صرامة :

— حسنا .. هذا يكفي ..
ثم هَوَّث قبضته على فلك (توفيق) كصاعقة ، انقلعت
البقية الباقية من أسنانه ، وألقته في عالم اللاوعي ، وحلَّ
(أدهم) هندامه في هدوء ، ثم قفز من نافذة حجرة مكتب
(توفيق) ، إلى شارع جانبي ضيق ، سار إلى نهايته ، حيث
تنتظره سيارته ، وبدخلها (قدرى) ، فدخل إليها ، وأدار
مركبها في هدوء ، على حين سأله (قدرى) في اهتمام :
— هل أوقفت به ؟

عقد حاجبه ، وهو يقول في لمحة تشق عن خطورة الأمر :
— ليس بعد يا (قدرى) .. إنه مجرد ذفية في شبكة بالغة
الخطورة .

سأله (قدرى) :
— شبكة مخدرات ؟
هز (أدهم) رأسه نفيا ، وأجاب في خشم :
— هذا ما كنا نتصوره كلنا يا (قدرى) ، ولكن الحقيقة
أكثر خطورة .

وأدار رأسه إليه ، مستطردا في صرامة :
— إنها شبكة جاسوسية يا (قدرى) .. أخطر شبكة
جاسوسية عرفتها (مصر) ..



ثم قفز من نافذة حجرة مكتب (توفيق) ، إلى شارع جانبي ..

بالشكوك أو المتاعب ، وهذا لا يتفق مع إقدامهم على ترويح
اغترارات .

هز كفتيه في هدوء ، وهو يقول :

— ربما أخطأت التسمية فحب يا (منى) ، ولكننى لم
أخطئ فهم الأمور .. إن شبكة اغترارات التى أوقعت
بشيقى ، والتى يديرها ذلك الرجل (مراد غالب) ،
ليست مجرد شبكة إجرامية عائلية ، وإنما هى جزء من مخطط
رهيب ، أغلله دولة معادية ، لتدمير شبائنا ، وتحطيم عقولهم
وإرادتهم ، عن طريق نشر السموم البيضاء بينهم ، وهذا ليس
بالأمر الجديد ، فلقد كان (الموساد) يفعل ذلك من قبل ،
وكان هذا الأسلوب هو سبب هزيمتنا في يونيو ، عام ألف
وتسعمائة وسبعة وستين .

سأله (قدرى) في خيرة :

— وما الذى دفعك إلى التفكير فى الأمر ، على هذا
النحو ؟

أجابته (أدهم) في حزم :

— كلمة واحدة نطق بها ذلك الوغد (توفيق)

يا (قدرى) .. لقد أثار دهشتى في البدء أن رجاله لم يكتفوا

٧ — الشبكة ..

« جاسوسية ١٢ .. »

فتت (منى) هذه العبارة في ذهول ، بعد أن انضم إليها
(قدرى) و (أدهم) ، في شقة هذا الأخير ، وأردفت
(منى) في استنكار :

— ستحيل يا (أدهم) !.. الجاسوسية واغترارات
لا يتفقان أبدا .

قال (أدهم) في هدوء :

— لماذا يا عزيزتى ؟ إن كليهما يسعى خلف هدف
واحد ، ألا وهو تحطيم أمنا ، ومنعها من التقدم والرقى ،
والجاسوسية تسعى إلى ذلك عن طريق كشف أسرارنا ،
أما اغترارات ، فهى تحقق نتائج أفضل ، بتحطيم شبائنا ،
وإذهاب قدراتهم وعقولهم .

أجابته في ثولر :

— هذا صحيح ، ولكن الجواسيس يحرصون دوماً على
البقاء خارج دائرة الشبكات ، وتحاشى كل ما من شأنه إحاطتهم

بحراقتي فحسب ، كما كان ينبغي أن يفعلوا ، وإنما لجئوا إلى
محاولة قتل علي الفور ، على حين كان من المستحيل أن يلجئوا
إلى ذلك بهذه السرعة ، حتى لو كنت أحد رجال مكافحة
المخدرات ، خشية إثارة الشرطة كلها ضدهم ، وحينما وصلت
إلى (توفيق) ، وأخبرته باسمي ، هتف لي ارتياح : (رجل
المخابرات « ١٢ » وهنا التحدث شكوكي كلها انجاسا
جديدا ، فسيما بلغت قوة أية شبكة مخدرات ، ومهما بلغ
حجم اتصالاتها بالمستولين ، فمن المستحيل أن تتوصل إلى
معرفة حقيقة مهنتي ، التي يحرص الجميع على إحاطتها بالسرية
التامة ، ولكن الأمر يختلف ، لو أن من يدير تلك الشبكة
يتصل — على نحو أو آخر — بمخابرات دولة معادية ، مثل
(الموساد) ، فهو في هذه الحالة سيعلم من أنا ، وسيحاول
إبعادى عن طريقه بأية وسيلة ، خشية أن يسبب تدخلى في
كشف هويته الحقيقية .

كان تحليله منطقيا ، خفيفا ، حتى أن (منى) غففت في
ارتياح :

— يا إلهي !!... إن الأمر — على هذا النحو الذى
ذكرته — شديد الخطورة يا (أدهم) .

والحقها بإجماع من رأسه ، وقال :

— لذا فلا ينبغي أن نضيع لحظة واحدة يا (منى) .
سنداً القتال على الفور .

أشارت إلى حجرة نومه ، وهى تقول :
— وماذا عن هؤلاء الأوغاد الخمسة ، الذين نحفظ بهم في
حجرتك ؟
أجابها في سخرية :

— لن يصيرهم أن ينتظروا بعض الوقت ، حتى نأتى لهم
بزعيمهم ، ثم إنهم أكثر بدانة مما تقتضى طيعة عملهم القلبي ،
وسيفيدهم نظام الجنية الإجبارى ، الذى ستفرضه عليهم .
اجسنت وهى تفهم :

— صدقت .
نهض (قدوى) في حماس ، واتجه نحو باب الشقة ، وهو
يقول :

— حسنا .. فلنبداً على الفور .
فتح الباب في انفعال ، ثم تسمر في مكانه ، حينما رأى أمامه
ثلاثة من جنود الشرطة ، يتقدمهم ضابط برتبة عقيد ، سأله في
هدوء :

— معدودة .. آلت السيد (أدهم صبرى) ؟

ارتبك (قدوى) لحظة ، وغمغم فى تردد :

— كلاً .. إن السيد (أدهم) ليس

قاطعه صوت (أدهم) من خلفه ، يقول فى حزم :

— هأنذا .. ماذا تريد يا سيادة العقيد ؟

تأمله العقيد لحظة فى هدوء ، ثم أراح (قدوى) من

طريقه ، ودلف إلى الشقة ، يتبعه جوده ، وهو يقول :

— العقيد (مختار صالح) ، مأمور قسم (الدقى) ..

أجابه (أدهم) فى هدوء :

— مرحباً بك .. ماذا يمكنك أن أقدم لك ؟

جلس العقيد (مختار) على أول مقعد صادقه ، وهو يقول

فى هدوء :

— أين كنت صباح اليوم يا سيد (أدهم) ؟

أجابه (أدهم) فى برود :

— هنا ..

وأسرع (قدوى) يقول :

— إننا لم نفارقه منذ الصباح الباكر ..

ابسم العقيد (مختار) فى هدوء ، وهو يقول :

— عجباً !! .. إن هذا القول لا يتفق مع أقوال بواب

البنية ، الذى أكد أن السيد (أدهم صبرى) قد غادر البنية

فى الصباح الباكر ، وعاد إليها فى العاشرة ، مع زميلة له ، ثم

زاره خمسة رجال فى الحادية عشرة والنصف ، ولم ينصرفوا

حتى الآن ، على الرغم من أن السيد (أدهم) قد عاد

وانصرف فى الثانية عشرة ، ولم يُعد إلا منذ ساعة واحدة ..

ارتبك (قدوى) ، وعقدت (منى) حاجبها فى قلق ، على

حين سأل (أدهم) العقيد (مختار) فى هدوء :

— ماذا تريد بالضبط يا سيادة العقيد ؟

تأمله العقيد (مختار) لحظة فى صمت ، وكأنها يحاول أن

يستشف ما خلفه ، ثم أجاب :

— يبدو أنك قد قضيت يوماً حافلاً يا سيد (أدهم) ،

فلقد تلقينا ثلاثة بلاغات تحمل اسمك ، أولها من أحد ضباط

قسم الهرم ، الذى قال إنك انتحلت أمامه شخصية ضابط

بمكتب مكافحة المخدرات ، وجعلته يلقي القبض على المدعو

(رشاد عامر) ، الذى أخبره باسمك الحقيقى بعدئذ ، والآخر

من تاجر عطاره معروف ، يُدعى (توفيق شاهين) ، قال فيه

إنك قد اعتديت عليه فى متجره ، ولديه تقرير إصابات ،

يؤكد كسر سبعة من أسنانه وحشومه ، وعشتم أنه غامقاً ،
ولديه أبناً خمسة شهود على ما يدعيه ، والبلاغ الثالث من
شخص مجهول ، أكد فيه أنك تحجز في منزل خمسة رجال ،
بدون وجه حق ، وعلى الرغم منهم ، فما قولك في كل هذا ؟
توقع (قدرى) و (مى) أن ينفى (أدهم) تماماً كل
ذلك ، وأن ينكره في شدة ، حتى أن دهشتها بلغت أوجها ،
حيناً أجاب في برود :

— لست أنكر بكل هذا .
انتقلت دهشتها إلى العقيد (مختار) ، الذى لم يكن يتوقع
اصراً صريحاً مباشراً ، على هذا النحو ، للمغم وهو ينهز في
حزم وصرامة :
— في هذه الحالة لا يتبقى إلا أن ألقى القبض عليك ،
و.....

قاطعه (أدهم) في صرامة :
— وتجد نفسك مضطراً لتبرير موقفك أمام الجهات
العليا .

غمغم العقيد في دهشة :

— الجهات العليا ؟

ثم استورد في غضب :

— هل تظن أنك مستجيب في خداعى بتلك الكلمات
الرئانة ؟ .. سألقى القبض عليك ، ولو كنت تعمل لحساب
رئيس الجمهورية نفسه ، فالقانون هو القانون ، ولا أحد
يمتلك الحق في تجاوزه ، مهما بلغ منصبه ، ومهما

قاطعه (أدهم) في جدة :
— حتى ولو كان أحد ضباط المخابرات العامة ، ويسعى
خلف أخطر شبكة جاسوسية عرفتها (مصر) في تاريخها ؟!
حدق العقيد (مختار) في وجهه بذهول ، ثم لم يلبث أن
عقد حاجبيه في صرامة ، وهو يقول في جدة :

— نعم .. حتى ولو كان كذلك ، إلى أن تنطقى ما يثبت أقواله .
قلب (أدهم) كتفيه ، وهو يقول في استسلام :
— حسناً .. ما دمت تصر على ذلك .

وفجأة ، تحرك (أدهم) ، وجذب العقيد (مختار) إليه ،
ثم انتزع مسدسه ، والصق فوهته بصدغ الأخير ، وهو يقول
لجنود الشرطة في صرامة :

— حذار أن يأتى أحدكم حركة واحدة ، وإلا دفع قائدكم
الشمس .

تردد الجنود في قلق ، وتطلّعوا إلى العقيد (مختار) ، وكأنهم
يسألونه المشورة ، فقال في جدة :

— إنك تتركب جريمة عتيقة يا سيد (أدهم) .. لن نجد
 عمامًا واحدًا يدافع عنك ، في همة اختطاف وتهديد رجل
 شرطة ، في أثناء تأديته عمله .
 أجابه (أدهم) في صرامة :
 — ليس هذا من شأنك .
 ثم صاح في وجه (منى) ، متظاهراً بتهديدها :
 — انتعدي عن طريقى ، وإلا أطلقت عليك النار .
 أجابه (منى) في عناد :
 — كلاً يا (أدهم) ، لا تحاول تبرئنى .. إننى سأعمل إلى
 جانبك ، أنا كانت المواقف ، حتى ولو كنت تعمل ضد
 القانون .
 ثم أخرجت سلسلها الصغير من حقيبتها ، وصوته إلى
 رجال الشرطة ، وهي تقول في صرامة :
 — ألقوا أسلحتكم .
 تردد رجال الشرطة لحظة ، ثم أطاعوا أمرها ، وألقوا
 أسلحتهم ، على حين قال العقيد (مختار) في خفى :
 — سيدوى جالك خلف القضبان يا سيدتى ، فعقوبتك
 ستجاوز سنوات عمرك بالتأكيد .
 أجابه في حزم :



وفجأة ، تحرك (أدهم) ، وحشد العقيد (مختار) إليه ، ثم انتزع
 سلسلته ، وأصلق قُرُوعه بصدح الأخير .

— لا تقلق بشأنى —

الفت (أدهم) إلى (قدري) ، وقال فى حزم :
— اتصل بالإدارة يا (قدري) ، وشرح لهم موقفنا ،
وقل لهم اننى سأقدم لهم شبكة جاسوسية كاملة ، على طبق من
لحم .

ثم التفت إلى العقيد ، مستطوفاً فى صرامة :
— والآن يا سيدي .. سنهبط معاً إلى سيارتى .. ويوسفى
أنك ستورط معنا ، على الرغم منك ، فى جولتنا القادمة ،
حد القانون .

ارتفع فجأة صوت صارم ، يقول فى غضب :
— لن يحدث هذا يا (أدهم) ..
استدار الجميع إلى مصدر الصوت فى دهشة ، وخفض
(أدهم) و (منى) مسدسيهما فى ببطء ، على حين تنحّب
وجه (قدري) ، وهو يغمغم :
— يا إلهى !! .. سيادة المدير ؟

فلم يكن ذلك الرجل الوقور ، الذى يقف أمامهم ،
والغضب يملأ كل خلجته من خلجاته ، سوى مديرهم ..
مدير المخابرات العامة المصرية ..

٨ — القانون ..

لم تكن تلك الحجرة ، فى مبنى وزارة الداخلية المصرية ،
تضم سوى خمسة أشخاص ..

(أدهم صبرى) ، و (منى) ، و (قدري) ، ومدير
المخابرات العامة ، ووزير الداخلية شخصياً ..

وكان أكثرهم ليرة هو مدير المخابرات ، الذى راح يلوح
بمراعه فى غضب ، هاتفاً :

— ألا تدرك ماذا فعلت بعشادك يا (أدهم) ؟ .. لقد
أخرجت جهاز المخابرات كله بمخالفتك القوانين ، واعتدائك
على الحريات ، والاستهتار بكل القواعد .. إنك تحمل الآن
قائمة من الاتهامات تكفى لإلغائك من السجن طيلة عهرك ..
احتجاز خمسة أشخاص بدون وجه حق ، ومهاجمة ملهى ،
والاعتداء على صاحبه ، والتعدى على تاجر عطايرة معروف ،
ومقاومة رجال الشرطة ، والتحال صفة ضابط شرطة ..
ألا تشعر بالخجل ؟

أجابه (أدهم) في هدوء :

— بل بالفخر .

صاح مدير المخابرات في غضب واستكثار :

— الفخر ؟!

أجابه (أدهم) في عناد :

— نعم ياسيدى . بالفخر ، فهؤلاء الأوغاد الخمسة

يَدْمُوا لِقَتْل ، وصاحب الملهى هو الذى أمرهم بذلك ، وهو

جزء من شبكة ضخمة ، تعمل على تهريب وترويج المُنْذَرَات

داخل (مصر) ، وزعيمه هو ذلك التاجر الوغد ، وكلاهما جزء

من شبكة جاسوسية خطيرة ، كما شرحت لسيادتك ، و.....

قاطعه مدير المخابرات في حثي :

— هناك قانون يحكم كل ذلك يا (أدهم) ، وليس من

حقنا تجاوزه ، وإلا بات الأمر أشبه بغابة بدائية ، ترح فيها

الحيوانات المفترسة ، ويلتهم فيها الكبير الصغير ، والقوى

الضعيف ، و.....

قاطعه (أدهم) :

— ألا يجوزنا وجود هؤلاء الأوغاد بيننا إلى ذلك ؟

أجابه وزير الداخلية في هدوء :

— كلاً يا (أدهم) ، مادعنا لحرم القانون .

هفف (أدهم) في جلبة :

— أى قانون ؟.. القانون الذى سيلقى أخفى خلف

القطبان ، ويعجز في الوقت ذاته عن اقتصاص من يعثرون به ؟..

أم القانون الذى ترك شبكة جاسوسية كاملة تتوغل في

مجمعنا ، وتهدد شبابه ورجاله بالضياخ ، عن طريق إدمان

السُّموم البيضاء القذرة ؟

عقد وزير الداخلية حاجبه ، وهو يقول في صرامة :

— ومن قال لك إننا نجعل كل هذا ؟

ثم ضرب سطح مكتبه بقضته ، مستطرداً في حزم :

— إن أحد الأجهزة التابعة لوزارة ، هو جهاز مباحث

أمن الدولة . ومهمة هذا الجهاز هي حماية الأمن الداخلى

للبلاد ، كما أن مهمة المخابرات العامة هي درء المخاطر الخارجية

عنه ، ورجال مباحث أمن الدولة يراقبون تلك الشبكة منذ

ثلاثة أشهر . بعد أن كشفت تحريكاتهم كدبها شبكة

جاسوسية ، ولكن حتى هذا يخضع للقانون أيها المتقدم ،

ولا يمكننا إلقاء القبض على أى مواطن مصرى . بتهمة

التجسس لحساب دولة أخرى ، إلا بوجود أدلة وبراهين

قوية ، وليس بأسلوب العنف العشوائي الذي تتبعه ، والذي
كاد يفسد كل ما تسعى إليه منذ فترة طويلة :

تطلعت (منى) إلى وزير الداخلية في دهشة ، وشعر
(قدوى) بالحجل ، على حين غفم (أدهم) :

— لم أكن أعلم هذا .

صاح به مدير المخابرات في خفق :

— ولم يكن من المفروض أن تعلمه .. إنك تحصل رتبة
رسمية ، وهذا يلزمك بطاعة الأوامر ، واحترام القوانين ،
ولكنك تتصرف دوماً كما لو كنت جواً جامعاً ، بلا قيود أو
التزامات .

عنف (أدهم) في تولكر :

— إننى أحاول إنقاذ شقيقى ياسيدى .

صاح مدير المخابرات في غضب :

— ليس بهذه الوسيلة .. ليس بمخالفة القانون .

اتسم وزير الداخلية ، وهو يقول في هدوء :

— هناك وسيلة قانونية بالتأكيد .

ثم مال نحو (أدهم) مستطرداً :

— وسيلة تحقق لك كل ما تسعى إليه .

سأله (أدهم) في اهتمام :

— كيف ؟

اعتدل وزير الداخلية ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ،
وهو يتسم ، قائلاً :

— لقد أخبرنى السيد اللواء مدير المخابرات الكثير ، عن
قدراتك ومهاراتك المذهلة أياً المقدم ، وعن تاريخك الحافل في
محاربة الجريمة وأجهزة المخابرات المعادية ، ولقد أثار هذا
اهتمامى وإعجابى ، ولكننى ألتفت مع السيد اللواء في ضرورة
اعتيادك طاعة الأوامر ، حتى تصبح رجلاً فذاً بحق .
واتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

— وترادى الآن فكرة جنونية ، لو وافقتى عليها
مديرك ، فسكون هناك فرصة لإسقاط كل الاتهامات عنك
والإفادة منك ومن قدراتك .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يغمغم :

— ماهى ؟

التفت وزير الداخلية إلى مدير المخابرات ، وقال في
هدوء :

— هل توافق على انتداب المقدم (أدهم صبرى) لمدة شهر
واحد ، من المخابرات العامة إلى وزارة الداخلية .

التقى حاجبا مدير المخابرات ، وهو ينعم في حذر :

— لست أمانع ، مادمت ترغب في ذلك .

اتسم وزير الداخلية ، وقال :

— سأصدر قرارا بذلك . بتاريخ أمس ، وهكذا يكون كل

ما فعله المقدم (أدهم صبرى) طوال اليوم قانونيا ، كجزء من

خطّة للإيقاع بشبكة الخاسوسية والحدارات ، وسنستند إليه

العملية بأكملها .

تلهثت (منى) في ارتياح ، وتهللت أسارير (قدرى) ،

على حين تألفت عينا (أدهم) ، وهو يقول :

— هذا يسعدنى يا سيّدى الوزير .

أسرعت (منى) تهتف :

— يمكن التنادى أيضا ؟ .. إننا نعمل كفريق متكامل ،

و

تفترج وجهها بخمرة الجعل ، وبرت عبارتها في حياء ،

فأطلق وزير الداخلية ضحكة صافية ، وقال :

— نعم .. يمكن انتدابك أيضا ، فلن أفرق فريقا متكاملا ،

أخطط حياتها بفرحتها ، وهى تهتف :

— شكرا لك يا سيّدى الوزير .. شكرا لك .

سأله (أدهم) فجأة :

— وماذا عن شقيقى ؟

هزّ وزير الداخلية كتفيه ، وقال :

— لن يتغير أى شيء بشأنه ، فأى إجراء استثنائى بالنسبة

إليه ، سيثير العديد من الشكوك والساؤلات . وقد نفد

خطّتنا تماما ، ولكن نباحك في هذه المهمة سيغير الأوضاع

بالأكيد ، وسيعيد الأمور إلى نصابها ، بعد إثبات براءته .

نهض (أدهم) ، وصافح وزير الداخلية في حرارة ، وهو

يقول :

— كيف يمكننى أن أشكرك يا سيّدى ؟

صافحه الوزير ، وهو يشم قائلا :

— بأن تم العملية على خير وجه أيها المقدم .

ثم استدرك في حزم :

— في حدود القانون .. هذا هو الأهم .

واكتفى وجهه بالجديّة ، وهو يستطرد :

— وتذكر دوماً أن العمل معنا يختلف كثيرا عن العمل في

المخابرات العامة ، فهناك لا نحتاج إلى أدلة أو براهين ، أو حتى

إلى إطار محدود للعمل ، إذ يكفي أن تم مهمتك على أى وجه

كان ، إذ أنك تعمل دوماً ضد قانون الدولة التى تقايل فيها ،

أما معنا ، فلا يمكنك أن تحقق نجاحا ، دون الالتزام بالقانون .
بعد انتهاء عملك يبدأ عمل القضاء ، الذى يحتاج لإصدار
حكم بالإدانة ، إلى أدلة قوية ، وبراهين واضحة .
أو اعترافات صريحة مؤكدة . تتم دون إجبار أو غش .
ابسم (أدهم) ، وهو يقول :

— سأذكر ذلك ياسيدى الوزير —

ظل مدير المحامرات صامتا ، حتى غادر (أدهم)
(قدري) و (منى) مكتب وزير الداخلية ، ثم سأله :

— أظن أنك متفهد منه حقا ياسيدى الوزير ؟

أومأ وزير الداخلية برأسه إيجابا ، وقال :

— بالتأكيد ، فهو جواد جامع كما وصفته ، وإلقائنا القبض
عليه يهدر طاقته ، ويُفقدنا كفاءة عالية ، ثم إنه لو كان بالبراعة
المذهلة التى ذكرتها ، فلن يستسلم لنا ، وسيجد وسيلة للفرار
منا ، ومواصلة قتاله بكل عناد وإصرار ، أى أن النتيجة واحدة
في الحالتين ، مع فارق واحد الآن .. فارق جوهري .

ابسم ابسم ابسامة واسعة ، وهو يُؤدب في ثقة :

— إنه لم يُقَدِّ يعمل ضد القانون .

٩ - الخطة ..

هفت (منى) في سعادة جمّة ، وهى تجلس إلى جوار
(أدهم) في سيارته :

— يا الهى !!! من كان يتوقع هذا ؟ .. ماشعورك الآن
يا (أدهم) ؟

أكشى صوته برنة حزن عجية ، وهو يغصم :

— شعور بالغرّة .

سأله (قدري) في دهشة ، من المقعد الخلفى :

— آية غربة يا (أدهم) ؟ .. إنك تعمل في وطنك هذه
المرة ..

حمل صوت (أدهم) نفس رنة الحزن العجبية ، وهو يقول :

— وهذا ما يدهشنى يا (قدري) .. لقد اعتدت أن

أعمل دائما في بلدان أجنبية ، لا ألتمز فيها بأية قواعد أو
قوانين ، وأصبح هذا جزءا من نفسى ، حتى أننى أشعر الآن
بغرّة شديدة ، لأننى أعمل داخل (مصر) ، ولأننى أقاتل
أناسا يتحدثون لغتى ، ويعيشون في موطنى .

غمغمت (منى) :

— إنهم لا يستحقون ذلك .

غمغم في الحفوت :

— ولكنهم كذلك بالفعل

وان الصمت على ثلاثهم طويلاً ، ثم قالت (منى) :

— إلى أين لتجبه الآن ؟

أجابها في هدوء :

— إلى مؤسسة (مراد غالب) .

هضت في استكار :

— ولكن هذا يخالف الخطّة .

اتسم ، وهو يحجب في هدوء :

— لا مانع من الاعتراف عن القواعد قليلاً يا عزيزتي .. أليس

كذلك ؟

وجلجلت ضحكته الساخرة داخل السيارة ، لتعلن بدء

جولة جديدة من الصراع ..

استقبل (خالد رشوان) ، مدير مكتب (مراد غالب) ،

(أدهم) و (منى) في هدوء ، ودعاهما للجلوس ، وهو

يسألهما في لهجة مهدبة :

— لماذا ترغبان في مقابلة (مراد) بك ؟ .. أليكما موعد

سابق ؟

أجاباه (أدهم) في بروء :

— كلاً .. ليس لدينا موعد سابق ، ولكننا نريد مقابلته

لأمر عاجل ، وبالع الأهمية .

اتسم (خالد) ، وهو يقول في هدوء :

— هل يمكنني معرفة ذلك الأمر العاجل ؟

أجاباه (أدهم) في حزم :

— كلاً .. إنه أمر شخصي .

عقد (خالد) حاجبيه ، وهو يقول في جدّة :

— إنني مدير مكتبة ، ومن حقّي أن ..

قاطعاه (أدهم) في صرامة :

— كلاً .. ليس هذا من حقك .

هتف (خالد) في غضب :

— ألا يمكنك أن تحجب عن أي سؤال بعبارة أخرى ،

سوى كلمة (كلاً) هذه ؟

اتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

— بلى .. هل تزوق لك هذه الإجابة ؟

خدجّه (خالد) بنظرة قاسية ، ثم ضغط زرّ جهاز الاتصال

الداخلي ، المثبت فوق مكتبه ، وقال في عصبية :

— كلاً .. إنها لا تزوق لي .

قال (أدھم) في سخرية :

— عجبا !! لقد استخدمت نفس الكلمة ، التي ترفضها .
رملته (خالد) بنظرة ساخطة ، ثم التقط من درج مكتبه
رشاشة صغيرة ، تحمل اسم أحد المييدات الحشرية الشهيرة ،
وهو يقول :

— معذرة .. هل تضايقكم رائحة هذا الميد ؟ .. هناك
حشرة لعينة تؤرقني هنا .

ثم بهن من خلف مكتبه ، وهو يحدق في نقطة ما ، مغمضاً
في خنق :

— حشرة مزعجة .

في نفس اللحظة دلف رجل متين البنيان إلى الحجرة ، وقال
وهو يخلص النظر إلى (أدھم) و (منى) :

— هل طلبتي يا (خالد) بك ؟

أجابته (خالد) ، دون أن يلتفت إليه :

— نعم .. انتظر قليلاً .

قال (أدھم) في حدة :

— لن ننتظر نحن ، فسأقابل مديرك الآن ، سواء شئت أم
أيت .

ارتسمت على شفهي (خالد) انبساط غامضة ، وهو يقول :



ثم بهن من خلف مكتبه ، وهو يحدق في نقطة ما ، مغمضاً في خنق :

— ومن قال لك إنني أرفض ؟ .. هو أيضا يتحرق شوقا
لزوجتك .

وفجأة ، أدار الرشاشة نحو (أدهم) ، ودفع رذاذ
السائل في أنفه وغيبه ، وتصاعدت رائحة محذر قوي ، مع
صوت (خالد) ، وهو ينف في شجاعة :
— ولقتلك .

— أسرع (مني) تنزع مسدسها الصغير من حقيبتها ،
وقفز (أدهم) نحو (خالد) ، وهو ينف في غضب :
— أيها الوغد .

وقفز (خالد) إلى الوراء ، وهو ينف :
— أوقفوه .

وفجأة ، اندفع من الباب رجلان ، الضم إلى (خالد)
والرجل الآخر ، وهاجم الأربعة (أدهم) و (مني) في شراسة ..
شراسة وحشية ..

على الرغم من رائحة المخدر القويّة ، التي تصاعدت إلى رأس
(أدهم) ، تحرك في خفة ، ولكم (خالد) في أنفه لكمة قويّة ،
ثم استدار يواجه الرجال الثلاثة الآخرين ، ولكن أحدهم لكمة
لكمة قويّة في معدته ، واندفع الثاني نحو (مني) ، التي ركضت في

معدته في قوّة ، ثم دارت على غيبتها لتلكمه في أنفه ، وهي تنف :
— قاوم يا (أدهم) .. إنهم أربعة رجال لمحسب .

قاوم (أدهم) بكل ماملك من قوّة وإرادة ، ولكم رجلا
ثانيا في أنفه ، ولكن الرجل استعاد توازنه في سرعة ، وكان
لـ (أدهم) لكمتين قويتين في فكّه ، اشتركا مع مفعول المخدر
القوي ، فألقيا (أدهم) أرضا ، ولكنه قاوم لبعض ، وبواصل
القتال ، إلا أن لكمة ثالثة على مؤخرة عنقه أفقدته وغلبت ثمانا ..

وصرخت (مني) في خزع حيلارات (أدهم) بسقط فاقد
الوعي وسط هؤلاء الوحوش ، وقالت في شراسة ، ولكن
الرجال الثلاثة أحاطوا بها ، وأوقعوها أرضا ، ثم اندفع
(خالد) نحوها ، ودفع رذاذ السائل في وجهها ، فحاولت أن
تجس أنفاسها ، إلا أن رائحة المخدر القويّة احترقت أنفها ،
وتسللت إلى عقلها ، فأحاط بها ظلام عيف ، وسقطت في
غيبوبة عميقة ..

وارتسمت ابتسامة متشفية على وجه (خالد) ، وهو
يعتدل ، قائلا :

— لقد سقطت أخيرا ، وفي وقتك أيها الشيطان المصري .
ارفع في تلك اللحظة أزيز جهاز الاتصال الداخلي على
مكتبه ، فأسرع إليه ، وقال في هدوء :

— هل تطلبني يا (مراد) بك ؟
أنا صوت (مراد غالب) غير جهاز الاتصال ، وهو
يسأل في قلبي :

— ماذا يحدث عندك ؟ .. إنني أسمع جلبة شديدة .
ابسم (خالد) ، وألقي نظرة على جسدتي (أدهم)
و (منى) ، وهو يقول :
— لا أنقلني لقسمك يا (مراد) بك .. إنهما حشرتان ،
أمكننا القضاء عليهما .
هتف (مراد) في دهشة :

— حشرتان ؟! .. كل هذه الجلبة من أجل حشرتين ؟
جئت ابتسامة (خالد) قدراً كبيراً من السخيرة
والثقل ، وهو يجيب :
— نعم يا (مراد) بك .. ولكن كل شيء قد انتهى .. لن
نحدث أية جلبة بعد الآن .

ثم أتى الاتصال ، واتسعت ابتسامته ، وهو يزدف :
— لقد لُكِّت راية (أدهم صبرى) إلى الأبد .
وأطلق ضحكة ساخرة عالية ..
ضحكة إمبراطور شبكة المخابرات والحاسوسية ..

١٠ — السقوط ..

شعر (قدرى) بمزج من التوتر والقلق ، وهو يجلس خلف
مقود سيارة (أدهم) ، أمام مبنى شركة (مراد غالب)
للمقاولات ، حينما مضى وقت طويل ، منذ صعد (أدهم)
و (منى) لمقابلة الرجل ، وأخذ يفهم في عصبية :

— يالك من مكابر عبيد يا (أدهم صبرى) .. ألا يمكنك
أن تلتزم أبداً بأية لحظة ؟ .. أمن الضرورى أن تتخلى ذوقاً عن
كل القواعد ؟

زهر في تولر ، وتطلع إلى ساعته ، التي أشارت عقاربها إلى
الحادية عشرة مساءً ، ثم عاد يراقب مدخل الشركة ، وهو
يفهم :

— لقد كان يؤمنا حافلاً بحق .. من يصدق أن كل هذه
المعركة قد بدأت صباح اليوم فحسب ؟
تعلق بصره بسيارة كبيرة ، توقفت أمام مبنى الشركة ،
وهبط منها أربعة رجال ، تغيبوا داخل الشركة لحظات ، ثم
عادوا يحملون صندوقين كبيرين ، وضعوهما داخل السيارة ،

ثم انطلقوا بها في سرعة ، فأسرع يدير محرك سيارة (أدهم) ،
وهو جف في ثوتر :

— فلتقطع ذراعى ، لو لم يكن جسدا (أدهم) و (منى)
داخل هذين الصندوقين .

وانطلق خلف السيارة ، وهو يستطرد في انفعال شديد :
— أدهم الله (سبحانه وتعالى) ألا يكونا جئين هامدين .
ملأت الفكرة قلبه بالفزع ، وهو يتبع السيارة غير شوارع
(القاهرة) ، حتى الطريق الصحراوي ، حيث انطلقت
السيارة بأقصى سرعة يسمح بها القانون ، وراح هو يتطلق في
أعقابها ، والقلق يعصف بنفسه ، حتى توقفت السيارة على بعد
خمس كيلومترات من (القاهرة) ، أمام واحدة من الاستراحات ،
التي تنتشر على طول الطريق الصحراوي ، فأوقف
سيارته بذوره ، وأطلق أنوارها ، وتابع بصره الرجال
الأربعة ، الذين نقلوا الصندوقين إلى داخل الاستراحة ،
فهمهم في ثوتر :

— حسنا .. هذا فأل جيد ، فلو أنهم قتلوا (أدهم)
و (منى) ، لبادروا بدفن الصندوقين ، بدلا من نقلهما إلى
الاستراحة .

خامره في تلك اللحظة شعور بالحنق الشديد ، لأنه
لا يحمل سلاحا ، فقاد السيارة ، وفتح حقيبتها الخلفية ،
والنقط منها الرافع المعدني ، وهو يفهم :
— أعقد أنه سلاح كاذب .

ثم اتجه في حفة تتعارض مع بدائه المفترضة ، نحو
الاستراحة ، ودار حولها في خلد ، حتى رأى الضوء ينبعث من
الخزان الخلفي لها ، فالتصق أذنه بإبه ، وسمع صوت أحد
الرجال الأربعة يقول في خشونة :

— قيدوها إلى هذين العمودين ، كما أمر الإمبراطور ،
حتى يأتي بنفسه ، ويصدر أوامره بشأنها .
فهمهم (قدرى) في ارتياح :

— هذا الله .. إنها ما زالا على قيد الحياة .
ثم اعتدل مستطردا في صوت عال :
— وقواعد الصداقة تقتضي أن أحاول إبقاءهما على هذا
الوضع .

تنهد في حنق ، وعاد يفهم في ثوتر :
— ماذا كنت سفعل يا صديقي (أدهم) ، لو كنت
مكاف ؟ .. أراهن أنك كنت ستفهم المكان بأكبر ضجة

ممكنة ، ومخبطم وجوه هؤلاء الأوغاد الأربعة ، قبل أن يدرك
أحدهم ما حدث .

وتحسّس كحرفه الضخمة ، قبل أن يستطرد في خنق :
— ولو أنني اتبعت نصيحتك ، لكان هناك أمل في أن أخذوا حذورك .
إنقاص وزلي ، لكان هناك أمل في أن أخذوا حذورك .

ثم انعقد حاجباه في صرامة ، وهو يزدف في خزم :
— ولكنني لن أغلّي عنك يا صديقي .. لن أغلّي عنك أو
عن (منى) .

وحساس شديد ، اندفع نحو باب الخزن ، وهو يصرخ :
— إني قادم يا (أدهم) .. قادم يا (منى) ..
واقصم الخزن في ضجة هائلة ، ما كان (أدهم) ليحدث
مثلها قط ..

استعاد (أدهم) وعيه في تلك اللحظة ، وانتابه دهشة
عارمة ، وتحيل إليه أنه يهدى ، حيثما رأى (قدرى) يقتحم
الخزن كخزيت ضخمة ، وهو يطلق صرخة قوية ، لينهار باب
الخزن تحت ثقله ، ويلتفت إليه الرجال الأربعة في دهشة
وتحير ، ويشيرون مسدساتهم في وجهه ..

وتصاعقت دهشة (أدهم) ، عندما رأى (قدرى)
يدور في حقة ، بدت مستحيلة بالنسبة لحجمه الضخم ،
وتنهوى على رأس أول الرجال يرفع السيارة المعدني ، ثم يدفعه
في معدة الثاني ، وينتزعه في سرعة ، ليطيح بمسدس الثالث ،
قبل أن يضربه به في فكّه ، فيلقه أرضاً ، ويستدير لمواجهة
الرابع ، الذي صرخ في غضب :

— أيها الحقير .. إني سأقتلك قبل أن ..

ولكن (قدرى) هوى بالرافع المعدني على معصم الرجل ،
الذي صرخ في ألم ، وتدلت كفه المخطمة أمامه ، قبل أن يعاجله
(قدرى) بضربة أخرى على رأسه ، فيسقطه كجوال من
القنامة ..

وهف (أدهم) في مزيج من الدهشة والفرح :

— رائع يا صديقي البدين .. لقد بدّوت في نظري أكثر
رشاقة من الغزلان ، وأنت تطيح هؤلاء الأوغاد عن يمينك
ويسارك .

حدّق (قدرى) في وجه (أدهم) بدهشة ، ثم نقل بصره
إلى الرجال الأربعة ، الذين تالموا حوله ، قبل أن تهلّل
أساريه ، ويهتف في سعادة ودهشة :

— لقد فعلتها الله.. هل تصدق هذا يا (أدهم) ؟.. لقد
هزمت وحدي أربعة رجال ..

انسم (أدهم) ، وهو يقول :

— لقد كنت رائعا يا صديقي .. هيا حل وثاق ، لنحتفل
معا بملك المناسبة الرائعة ..

ألقى (قدري) رافع السيارة جانبا ، وأسرع نحو
(أدهم) ، وهو يقف :

— هل رأيت يا صديقي ؟.. لقد فعلتها مطلقا تماما .. إنك
لن تسخر من بدائتي بعد ذلك .. أليس كذلك ؟

قاطعه صوت صارم ، يقول في سخرية :

— اطمئن .. إنه لن يجد الوقت لذلك ..

تسهر (قدري) في مكانه ، وعقد (أدهم) حاجبيه في
ضيق ، والتفت (قدري) خلفه في هدوء ، ثم ملأ اليأس
والغضب قلبه دفعة واحدة ، فأمامه كان يقف (خالد
زهران) ، وحوله ستة من رجاله ، والجميع يصوبون
مسدساتهم إليه ، وإلى (أدهم) ..

تأوهت (منى) في ضعف ، وهي تستعيد وعيها ،
وغمغمت في ألم :

— أين أنا ؟.. ماذا حدث ؟

لم تكذب تفتح عينيها ، حتى اتسعت في دُعر ودهشة ، حينما
رأت (أدهم) إلى جوارها ، مقبدا في إحكام إلى قائم خشبي
متين ، وأمامهما يقف (خالد) ، منسما في سخرية وشجاعة ،
ورجاله يقفون (قدري) إلى قائم مجاور ، وكشفت في تلك
اللحظة أنها أيضا مقبدة في إحكام إلى قائم محاليل ، وصممت
(خالد) يقول في سخرية :

— أنت هنا مؤثقا يا عزيزي .. ولكن إقامتك لن تستغرق
طويلا للأسف .. فسترسلك مع زميلك إلى الدار الآخرة بعد
قليل ..

عقدت حاجبها في غضب ، وهي تقول في حدة :

— إننا سندهب إلى الجنة على الأقل أيها الوغد ..

أطلق (خالد) ضحكة ساعرة ، وقال :

— نعم .. إلى جنة الأغبياء ..

أجاب (أدهم) في سخرية :

— ستكون أفضل بالتأكيد من جحيم الأوغاد ، الذي

ستذهب أنت إليه ..

هز (خالد) كتفيه ، وهو يقول في سخرية :

— لا بأس ، مادمت سأنعم بحياتي هنا ، دون أدنى إزعاج منكم .

قال (أدهم) في سخرية :

— ومن خدعك بهذا القول ؟.. هل تظن أنهم لا يعلمون حقيقة عملك ؟

هز كتفيه في لامبالاة ، وهو يقول :

— ليس المهم أن يعلموا .. المهم أن يجدوا الدليل .

وابتسم في سخرية ، مستطردا :

— هذا هو القانون .. أليس كذلك ؟

أجابته (أدهم) في برود :

— بلى ، ولكنني أخشى أنك لا تعلم حقيقة ما تفعله

بالضبط ، فالرجل الذي يتزعمك ليس مجرد تاجر مخدرات ،

بل هو جاسوس .. جاسوس خطير .

غمض (خالد) في سخرية :

— ومن هو هذا الذي يتزعمني ؟

أجابته (أدهم) باتسامة ساخرة :

— (مراد) .. (مراد غالب)

أطلق (خالد) ضحكة عالية مخملجة ، قبل أن يقول :

— بل أنت الذي لا يعلم شيئا أيها الشيطان المصري .. إن

(مراد غالب) لا يدري شيئا مما يحدث في شركاته .. إنني أنا الإمبراطور ..

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول في جدّة :

— أنت ؟..

ثم تألقت عيناه ، وهو يستطرد في خفق :

— يا إلهي !.. كان ينبغي أن أستج ذلك منذ البداية ،

فلقد كانت الحقبة مرسلة إلى (مراد غالب) ، وليس من

المنطقي أن يغامر باستخدام اسمه في عملية مشبوهة ، لو أنه هو

الزعيم الحقيقي لكل هذا .. إنك مدير مكتبه ، ومن الطبيعي أن

تسلم الحقبة بدلا منه ، بحجة تسليمها إليه ، ثم لا يعلم هو أي

شيء عنها بعد ذلك .

ابتسم (خالد) في سخرية ، وهو يقول :

— استنتاج متأخر أيها الشيطان المصري .. جاء بعد فوات

الأوان .

هتف (أدهم) في غضب :

— ولكنه يقضي أنك الزعيم الحقيقي لأخطر شبكة

جاسوسية عرفتها (مصر)

ابتسم (خالد) في زهو ، وهو يقول :

— هذا التعبير يملأني زهواً يا سيّد (أدهم) .

قلب (أدهم) شغفه في الرذراء ، وهو يقول :

— يا للحقارة ... كيف تغفر بحيانك لدولتك ؟

هز (خالد) كفيه ، وهو يقول :

— أخطأت هذه المرأة أيضاً ، فأنألم أحن دولتي أبداً ، بل

أعمل طوال الوقت من أجلها .

اتسعت عينا (منى) في دُعر ، وعمغم (أدهم) في جِلْدَة :

— هل نغني أنك ؟

اعتدل (خالد) ، وهو يقول في فخر :

— نعم يا سيّد (أدهم) .. إنني لست مضرباً

ثم تحول حديثه فجأة إلى اللغة العبرية ، وهو يستطرد

مزهواً :

— إن اسمي الحقيقي هو (إيلي) .. (إيلي كوهين) .. أحد

أربع ضباط مخبرات وطني .. (الموساد) ..

١١ — رجل المستحيل .. سابقاً ..

تفجرت تلك المفاجأة ، في قلوب (أدهم) و (منى)

و (قدرى) كالقنبرة ، واتسعت لها عينا (قدرى) في

دُهر ، وشغبت لها وجه (منى) ، على حين انعقد حاجبا

(أدهم) في غضب ، وهو يقول في بظء :

— كيف أمكنت أن تخدع الجميع هنا ؟

أجاب (إيلي كوهين) بالعبرية في سخرية :

— لقد كان الأمر سهلاً ، فد (خالد رشوان) شخصية

حقيقية ، وهو مدير مكتب (مراد غالب) بالفعل ، ولقد

التقى به أحد رجالنا ، في أثناء رحلته إلى (فرنسا) منذ خمس

سنوات ، وأثار انبهاه شدة التشابه بيننا ، فقمنا بمراقبته لمدة

عام كامل ، ثم أجريت أنا جراحة تجميل بارعة ، فصرنا نسخة

طبق الأصل منه ، وقضيت هذا العام في التدرب على التحدث

والتصرف بلهجة وصوته وأسلوبه ، وبعدها قتلناه .

صمت عند تلك النقطة ، ليشعل سيجارته ، وينفث
دخانها في الهواء ، قبل أن يستطرد :

— فخلناه في (روما) ، وعذت إلى (القاهرة) بدلأ منه ،
وبجواز سفره وأوراقه ، وأصبحت أحمل اسمه ، وأملك عمله
وعلاقاته ، ومن هذا المنطلق ، بدأنا تكوين شبكة المخابرات -
وابتسم لي مخفية ، وهو يزودني :

— وسيد هاشك عدد من يتعاطون تلك المخابرات في بلدك
أيها الشيطان المصري .. إن الواحد منهم يتحول تدريجياً إلى
مدمن ، لا يمكنه التخلص عن المخدر ، وهنا يقع في قبضتنا ..
ويكون لديه الاستعداد الكامل لعمل أى شيء ، في مقابل
الحصول على جرعة المخدر .. هل تفهم أيها المصري .. أى
شيء ..

غمغم (أدهم) في غضب :

— أنت حيوان حقير يا (إيلي كوهين) .

أطلق (إيلي) ضحكة ساخرة ، وقال :

— بل رجل مخابرات ناجح أيها المصري ..

قال (أدهم) في صرامة :

— إنك تستحق القتل ..

مر (إيلي) كفيه في استنار ، وقال :

— فزع هذا القول لغريك ياسيد (أدهم) ، فساغاثك في
هذا العالم أصبحت محدودة ..

غمغم (أدهم) ، وهو ينسج حلل قيوده في خلد ..

— فمن يذري ؟

أجابته (إيلي) في مخفية :

— أنا ..

ثم نفث دخان سيجارته مرة أخرى ، قبل أن يزودني :

— إن كل شيء أفعله قانوني تماماً ياسيد (أدهم) ، على

الرغم من أن كل أفعالي ضد القانون ، وحتى تلك المسلمات

التي أحلها ، والتي يحملها رجالى ، مريحة رسمياً ، فهم

— طبقاً للأوراق القانونية — حراس أمن في الشركة ..

ثم التفت من جيبه مسدساً مزوّداً بكاتم للصوت ، وهو

يقول :

— لذا فساخطك بهذا ..

تألفت عينا (أدهم) يبريق عجيب ، وهو يقول في

هدوء :

— إنه مسدسى ..



ثم انقطع من جبهه سلسا مزوفا بكاتم للصوت ، وهو يقول :

— لذا فاسألك بهذا ..

أوما (إيلي) برأسه إيجائنا ، وهو يقول :
 — هذا صحيح .. لقد أخذته منك ، بعد أن أفقدتك
 وعيك في الشركة .
 حاول (أدهم) أن يحلّ فيوده في سرعة ، وهو يقول ،
 محاولا إضاعة المزيد من الوقت :
 — هل ترغب في تتويج قذاراتك بقتل ؟
 مطأ (إيلي) شفتيه ، وهو يقول :
 — ولم لا ؟ .. إن أعظم نصر يحرزُه ضابط من (الموساد) ،
 هو أن يقتل الشيطان المصري (أدهم صبرى) .
 قال (أدهم) في برود :
 — هل تعتدت أن توقع بأخى ؟
 هزأ (إيلي) رأسه نفثا ، وهو يقول :
 — ككلا .. لقد حدث ذلك بالمصادفة ، فزميل (هانز فير)
 اختار شقيقك ، لأنه كان الوحيد المسافر إلى (القاهرة)
 فحسب ، لأن (هانز فير) أحد العاملين الجدد في (الموساد) ،
 وهو لا يعلم علاقتك بالكوكور (أحمد صبرى) .
 ابتسم (أدهم) ، على نحو أدهش الجميع ، وهو يقول في
 هدوء :

— إذن فانت تعترف بأن شقيقى لم يكن يعلم شيئاً عن
محتويات الحقيبة .

أطلق (إيل) ضحكة ساخرة ، وقال :

— بالطبع .. هل تسمى لانتراخ احتراف أخير منى (لهدأ
قلبك قبل مصرعك ؟

أجاب (أدهم) فى ازدراء :

— إننى لا أخشى الموت أيتها الحقيقى ، ولم أفقد لفتى من
براءة الذكور (أحد) لحظة واحدة .

رفع (إيل) مسلس (أدهم) نحو رأس هذا الأخير ،
وهو يقول :

— حسناً أيتها الشيطان المصرى ، ماذا كنت لا تخشى
الموت ، فلم لا تلتقى به الآن ؟

ابسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

— بكل سرور أيتها الوغد .

انصت عينا (منى) فى دُغر ، وشحِب وجه (قدرى) فى
شدة ، حينما صُوب (إيل) المسلس نحو جبهة (أدهم) ثماعاً ،
وهو يقول فى حزم :

— لا بأس .. وداعاً إذن أيتها الشيطان المصرى .. بلغ
تحياتى إلى الجميع ، فى جنة الأغياء .

ثم أطلق النار ..

وصرخت (منى) فى رُغب وألم وإرباع ، وشهق
(قدرى) فى خزع هائل ، حينما انفجرت بقعة كبيرة من الدماء
فى منتصف جبهة (أدهم) ، وجمحت عيناه لحظة ، ثم نهوى
رأسه على صدره ، وأطلق (إيل) ضحكة ساخرة ، وهو
يخف فى ظفر شرس :

— لقد قتله .. فليستل التاريخ اسم (إيل كوهين) ..

الرجل الذى قتل (أدهم صبرى) .

وازتج المكان بخرج من ضحكته الساخرة ، وصرخة

(منى) وبكاء (قدرى) الحاز .

وانتهت جولة من الصراع ..

وفقد قلب (منى) (رجل المستحيل) ..

[انتهى الجزء الأول ، ويليهِ الجزء الثانى]

[شريعة الغاب]



عبد الله قاروق

ضد القانون

- لماذا أطلقت الشرطة المصرية القبض على الدكتور (أحمد صبرى)، شقيق (أدهم)؟
- كيف تحول (أدهم صبرى) فجأة، من ضابط مخبرات ناجح، إلى رجل يعمل ضد القانون؟
- ما سر قتال (أدهم) المنهت داخل (مصر)؟ وهل سينجح في معركته الخاصة (ضد القانون)؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة : لترى كيف يعمل (رجل الاستحيل).

**رجل
الاستحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للشعباني
رائعة
بالأحداث
المثيرة**



التمثيل في مصر

وما يخلقه بالدولة
الأمر بكنى في سائر
السلوك العربية

العدد القادم : شريعة الغاب